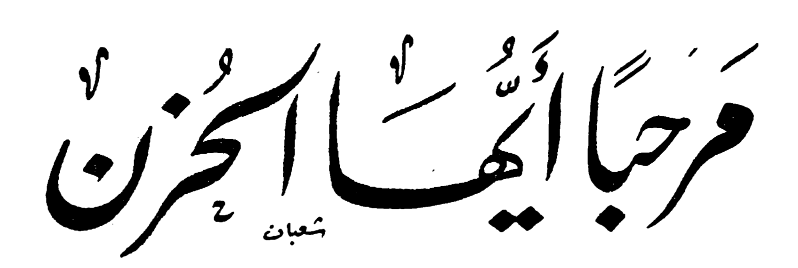
مرحباً أيها الحزن

شعبان

فرنسواز ساغان

من كتب
المؤسسة الأهلية
للطباعة والنشر
م - ٣

فرنسواز ساغان



المؤسسة الأهلية
للطباعة والنشر
ص.ب: ٣٥١٥
بيروت
١٩٥٥

نقلها الى العربية
فؤاد موليساقي

"لا أريد لبيتي أن يكون مُسوّراً من جميع الجهات ولا أريد أن تكون نوافذي مغلقة. أريد أن تهب على بيتي ثقافات كلّ الأمم بكل ما أمكن من حرّيّة، ولكني أنكر على أي منها أن تقتلعني من أقدامي. إن مذهبي ليس ديناً مغلقاً ففيه مجال لأقلّ مخلوقات الله شأناً ولكنه يستعصي على الكبرياء العاتية، كبرياء العرق أو الدّين أو اللّون".

غاندي

زميلنا القارىء

اعدنا في كتابنا الثاني مقدمة كتابنا الاول راجين من هـذا التكرار ان تصل كلمتنا الى الذين فاتهـم الاطلاع عليها في المرة الاولى .

قلنا اننا زملاء لك في المطالعة وقلنا ان هدفنـا الاساسي في اصدار هذه السلسلة من القصص العـالمي الحديث هو مشاركتك ايانا المتعة التي احسسنا بها ونحن نقرأ كلاً من هذه القصص .

واعلنا اننا نؤمن بان المطالعة ثقافة ومتعة من حق كل مواطن وكل انسان .

هذه هي غايتنا وهذه هي مؤسستنا .

ونحن ، في اصدار روائع القصص الحديث ، لا ننكر اهمية

التراث الكلاسيكي الخالد . فمن ليس له ماض ليس له حاضر وبالتالي لا مستقبل يرتجى له .

ولكننا نؤمن ايضاً باننا نعيش في القرن العشرين وعلينا ان نفكر تفكير القرن العشرين . علينا ان نعيش وقتنا وان نحيا ساعتنا .

علينا ان نعرف ما يدور حولنا اليوم وما يفكر به غيرنا هذه الساعة .

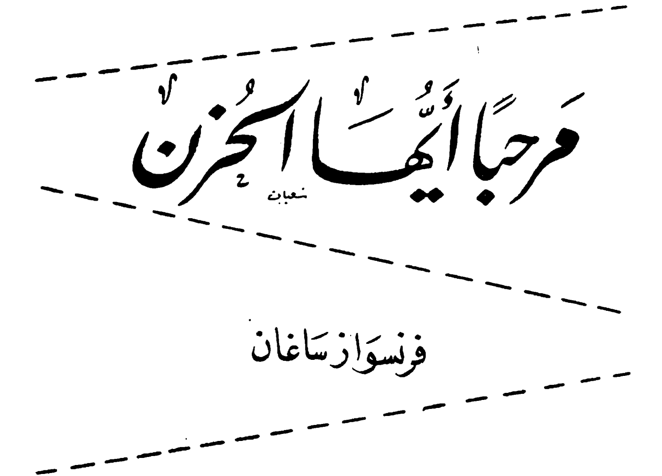
لذلك فان سلسلتنا هذه ستحوي الاتجاهات المعاصرة في القصة . سننقل عن قصاصين معاصرين رغم احترامنا الكلي للقدماء وتقديرنا لرسالتهم .

ونأمل ان نتمكن في المستقبل من ان نقدم سلسلة ثانية للقصص الكلاسيكي الخالد كيما تكتمل حلقات ثقافتنا ومعرفتنا للعالم .

كما اننا ندرس ، ضمن امكانياتنا ، حسب وعدنا ، جميع المقترحات التي وردتنا اثر صدور كتابنا الاول . ونود تقديم شكرنا لجميع الزملاء القرّاء على استقبال كتابنا بحماس ورغبة في التعاون ، هذه الرغبة وهذا التعاون هما الحجر الاساسي في مؤسستنا وعليهما يتوقف نجاح مشروعنا .

امانة التحرير

Bonjour Tritesse



الوداع ايها الحزن

مرحباً ايها الحزن

انك منقوش في خطوط السقف

انك مرتسم في عيني من احب

لست التعاسة كاملة

فالشفاه الأكثر مسكنة تعرب عنك

بابتسامة

مرحبا ايها الحزن

يا حب الأجساد المحببة

وقوة الحب

الذي تبرز مودته

كوحش بدون جسم

ايها الوجه الخائب الأمل

يا حزن ، ايها الوجه الجميل

ب. ايلوار

(الحياة الفورية)

القسم الاول

الفصل الاول

انني اتردد في ان اخلع، على هذا الشعور المجهول الذي يلاحقني ملله وحلاوته ، اسم الحزن الجميل . انه شعور كامل ، اناني ، الى حد اني اكاد اخجل منه ، بينما بدا الحزن دائماً لي شريفاً .

لم اكن اعرفه ، ولكنني اعرف الملل والاسف ، ونادراً الندم . واليوم ، يلتف عليّ شيء كالحرير ، مثير وناعم ، يفصلني عن الآخرين .

في ذلك الصيف ، كنت في السابعة عشرة وسعيدة كل السعادة . اما « الآخرون » فقد كانا ابي و« إلسا »عشيقته. وعليّ هنا ان اشرح فوراً هذا الوضع الذي قد يبدو غريباً .

كان ابي في الاربعين من عمره وارملاً منذ خمس عشرة سنة . وكان رجلاً شاباً ، كله حيوية. وعند خروجي من المدرسة الداخلية ، قبل ذلك بسنتين ، لم استطع ان آخذ عليه العيش مع امرأة . الا

اني لم اقبل بهذه السهولة ، تبديله اياها كل ستة شهور ! ولكن سرعان ما دفعني سحره وهذه الحيـاة السهلة الجديدة واستعدادي الطبيعي الى القبول بذلك .

كان رجلاً ضعيفاً ، بارعاً في الاعمال ، دائم الفضول ولكن سريع الملل ، وكان محبوباً من النساء . ولم اجد صعوبة في ان احبه بحنان فقد كان طيباً وكريماً ومرحا وكله عطف عليّ . ولا يمكنني ان اتصور صديقاً افضل او اكثر الهاء منه . وقد بلغ به اللطف ، في بداية ذلك الصيف ، حد سؤالي اذا كانت صحبة إلسا ، عشيقته آنذاك ، لا تزعجني في اثناء العطلة . ولم استطع الا ان اشجعه فقد كنت اعرف حاجته للنساء واعرف ان إلسا لن تزعجنا .

كانت إلسا فتاة طويلة القامة ، حمراء الشعر ، تقـــوم ببعض الادوار البسيطة في الافلام وحانات الشانزليزيه . وكانت لطيفة ، بسيطة وبدون مطامح . وبعد فقد كنت وأبي سعيدين بالرحيل حتى اننا لم نكن لنفكر بمعارضة اي شيء . وكان ابي قد استأجر ، على ساحل البحر الابيض المتوسط ، دارة منعزلة كبيرة كنا نحلم بها منذ بدأ الحر في حزيران . كانت مبنية على تلة تطل على البحر وتخفيها عن الطريق غابة صنوبر . وكان امامها طريق ضيق وعر ينزل الى خليج صغير تحيط به الصخور الحمراء التي يتمايل البحر حولها.

كانت الايام الاولى بديعة . فقـــد كنا نقضي ساعات على الشاطىء نعاني وطأة الحر ونكتسب لوناً ذهبيا ، ما عـدا إلسا التي كان جسمها يحمر ويسبب لها آلاماً شديدة . اما ابي فقد كان

يقوم بحركات رياضية معقدة ليزيل بداية كرش لا يتناسب ومطامحه الغرامية .

كنت انزل الى البحر ، عند الفجر ، فأغطس في الماء الشفاف المنعش واقوم بحركات كثيرة لاغسل عني ظلال باريس وغبارها. ثم أستلقي على الرمل وآخذ حفنة منه في قبضة يدي وأتركه ينساب من خلال اصابعي . وكنت اقول لنفسي انه يهرب كالوقت وان هذه فكرة سهلة وان من المسر ان تخطر للمرء افكار سهلة .

وفي اليوم السادس رأيت سيريل اول مرة . كان على زورقه الشراعي الصغير الذي مالبث ان انقلب في خليج . فساعدته على استعادة حاجاته وعلمت ، بين ضحكنا ، انه طالب حقوق يدعى «سيريل» وانه يقضي العطلة مع والدته في دارة مجاورة . كان وجهه لاتينياً اسمر ، وقد اعجبني فيه ما يبدو عليه من امارات الاتزان والحماية ، مع اني كنت اهرب من طلاب الجامعة الخشنين الذين لا يهتمون الا بأنفسهم وشبابهم والذين يجدون فيه موضوعاً للتفجع او عذراً للملل .

لم اكن احب الشباب، كنت افضل عليه اصدقاء ابي، رجالاً في حدود الاربعين ، الذين كانوا يحدثونني بلباقة وحنان ويحيطونني بعطف الوالد والعشيق . ولكن سيريل اعجبني ، كان طويلاً ، وكان جميلاً احيانا ، من نوع الجمال الذي يوحي بالثقة ...

عرض عليّ سيريل ، وهو يغادرني ان يعلمني قيادة الزوارق الشراعية . وعدت الى المنزل لتناول العشاء وقد شغلتني هذه

الفكرة فلم اشترك في الحديث. وكدت لا ألاحظ اضطرابي.

وبعد العشاء، تمددنا مثل كل مساء، على مقاعد وضعناها على السطح.

كانت النجوم تغطي السماء فرحت انظر اليها وانا اتمنى ان تسبق موعدها وتأخذ في اجتياز السماء وهي تسقط. ولكننا كنا في مطلع تموز ولم تكن تتحرك. وفي جوانب السطح، كانت الصراصير تغني ولا شك انها كانت الوفا من الصراصير التي اسكرها الحر والقمر فأخذت تقضي ليالي كاملة تطلق هذه الصيحات الغريبة. ورغم اني تعلمت انها تمر بأحد اعضائها على الآخر، فانني كنت افضل ان اتخيلها تغني من حناجرها ذلك الغناء الغريزي كغناء القطط في موسمها.

كنت مسترخية وكانت ذرات الرمل، التي تسللت بين قميصي وجسمي، تحول دون استسلامي للنوم. و تنحنح ابي واستقام في جلسته وقال:

– هناك شخص سينضم الينا.

اغمضت عيني بيأس. كنا مرتاحين كل الراحة، وما كان هذا ليدوم، وهتفت إلسا بفضول:

– قل لنا بسرعة، من؟

والتفت ابي اليّ وقال:

– آن لارسن.

ونظرت اليه بدهشة وقد شعرت بعجزي عن القيام بأية حركة بينما اضاف:

– لقد طلبت منها القدوم اذا كانت تعبة من مجموعاتها.

وسوف ... تأتي .

ما كان هذا ليخطر ببالي . كانت آن لارسن صديقة قديمة لأمي المسكينة ، وكانت علاقتها بابي محدودة . ومع ذلك عندما غادرت المدرسة الداخلية قبل سنتين ، ارسلني والدي اليها اذ ان وجودي كان يحرجه . وما مضى اسبوع حتى كانت قد جعلتني احسن اختيار ثيابي وعلمتني كيف اعيش . فاخذت اكنّ لها اعجابا قويا ما لبثت ان حولته ببراعة نحو شاب تعرفه . وهكذا فاني مدينة لها باناقتي وحبي الاولين . ورغم انها بلغت الثانية والاربعين فانها كانت جذابة ذات وجه جميل متكبر يلوح عليه الاعياء وعدم الاكتراث . وعدم الاكتراث هو كل ما يمكن اخذه عليها . كانت لطيفة ومتباعدة . وكان كل شيء فيها يوحي بارادة قوية وراحة قلب تحرجان من يقربها . ومع انها مطلقة وحرة فانها كانت بدون عشيق . وبعد فلم تكن لنا نفس اتصالاتها فهي تصاحب اناساً ناعمين واذكياء ، ونحن اناساً صاخبين لا يطلب منهم ابي سوى ان يكونوا ذوي جمال او ظرف . واظن انها كانت تزدرينا قليلاً ، انا وابي لتعلقنا باللهو والعبث كما كانت تزدري كل امر مبالغ فيه ، ولم نكن نجتمع الا عندما نتناول العشاء معا للتباحث في الاعمال ، فقد كانت تعمل بالخياطة وابي بالدعاية ، بالاضافة الى ذكرى امي وجهودي اذ اني كنت معجبة بها كل الاعجاب .

وبدا لي قدومها المفاجىء محرجاً نظراً لوجود السا ولآراء آن في التربية .

وصعدت السا لتنام ، بعد ان القت مجموعة من الاسئلة عن

مركز آن في المجتمع ، وبقيت وحدي مع ابي فذهبت وجلست على درج السلم ، عند قدميه ، وانحنى فوقي ووضع يديه على كتفي وقال :

– لماذا انت ضعيفة البنية الى هذا الحد ؟ انك تبدين كالقطة المتوحشة. انني اتمنى ان تكون لي ابنة حسنـــاء شقراء الشعر ، قوية و ..

وقاطعته :

– دعنا من هذا . لماذا دعوت آن ولماذا قبلت هي الدعوة ؟

– ربما لرؤية ابيك . ما ادراني ؟

– لست من الرجال الذين يثيرون اهتمام آن . انها ذكية جداً وتحترم نفسها كثيراً . والسا ؟ هل فكرت بالسا؟هل تتصور انواع الاحاديث التي ستجري بين آن والسا ؟

وصمت لحظة ثم اجاب كمن يقر بخطأ ارتكبه :

– انني لم افكر بذلك . صحيح ، ان هذا مريع . مارأيك يا سيسيل لو عدنا الى باريس ؟

واخذ يضحك بهدوء وهو يداعب عنقي. واستدرت واخذت انظر اليه . كانت عيناه السوداوان تلمعان وقد تجمعت بعض الاخاديد حولهما . واخذت اضحك معه كما اعتدت ان افعل كلما خلق لنفسه متاعب . وقال وهو ما زال يبتسم :

– يا شريكتي المحبوبة . ماذا استطيع ان افعل بدونك ؟

وكان في صوته حنان جعلني ادرك انه كان ممكنا ان يكون تعيساً .

وفي ساعة متأخرة من الليل تحدثنا عن الحب ومشاكله . كان ابي يعتبر هذه المشاكل خيالية . وكان يرفض رفضاً باتاً مبادىء الاخلاص والرصانة والارتباط . وقد اوضح لي انها كلها عقيمة . ولو قال غيره هذا لشعرت بصدمة ، ولكني كنت اعرف ان هذا لا يجرده شخصياً من الحنان والاخلاص اللذين كانا يأتيانه بسهولة. كان هذا المبدأ يأسرني : غراميات سريعة عنيفة عابرة. ولم اكن في سن اعجب فيها بالاخلاص، فقد كان ما اعرفه عن الحب قليلًا: مواعيد وقبلات وارتخاء .

الفصل الثاني

لم نكن ننتظر وصول آن قبل مضي اسبوع . ولذا رحت استغل هـذه الايام الاخيرة من العطلة الحقيقية . لقد استأجرنا الدارة لمدة شهرين ولكنني كنت اعرف ان الانطلاق التام لن يعود ممكناً فور وصول آن . كانت آن تعطي الاشياء شكلا والكلمات معنى اعتدنا ، انا وابي ، ان نتعامى عنهما . كانت تضع حدوداً للذوق الحسن والنعومة وما كان احد ليستطيع ان يشعر بها في تباعدها المفاجىء وصمتها الجريح . كان هذا مثيراً ومتعبا ، وكان مهينا في آخر الأمر اذ اني كنت اشعر بانها مصيبة .

ويوم وصولها ، تقرر ان يذهب ابي والسا الى محطة فريجوس لانتظارها ، اذ اني رفضت ان ارافقهما . ولما يئس ابي من اقناعي قطف كل مـــا في الحديقة من زهور ليقدمها لها عند نزولها من القطار . وقد نصحته بالا يعهد بالباقة الى السا .

وفي الساعة الثالثة ، بعد ذهابهما ، نزلت الى الشاطىء . وكان

الحر شديداً فتمددت على الرمل واستغرقت في النوم الى ان ايقظني صوت سيريل . ففتحت عيني ونظرت الى السماء فاذا هي بيضاء .

ولم ارد على سيريل ، فلم اكن اشعر برغبة في ان احدثه او احدث ايا كان ، كنت مسمرة على الرمل بكل قوة هذا الصيف وقد ثقلت ذراعاي وجف فمي ، وقال :

— هل انت ميتة ؟ انك تبدين ، من بعيد ، كالحطام المهجور .

وابتسمت . فجلس بجانبي واذا بقلبي يزداد خفقا ويأخذ بالقرع بشدة ، اذ ان يده ، وهو يجلس ، لمست كتفي . وكنا ، في الاسبوع السابق ، قد قفزنا عشر مرات متعانقين الى الماء دون ان اشعر باي اضطراب ، ولكن ، كان كافيا اليوم وجود هذا الحر وهذا النوم المثقل وهذه الحركة العفوية لكي يتمزق فيّ شيء ما.

أدرت وجهي اليه واذا به ينظر اليّ . لقد بدأت اعرفه . انه متزن ، يتعلق بالفضيلة بصورة غير معتادة في من كان بسنه . ولهذا كان وضع عائلتنا يثيره . كان اطيب او اكثر حياء من ان يقول لي ذلك ولكني كنت اشعر به من النظرات الحانقة التي يلاحق بها ابي كان يود لو ضايقني وضعنا . ولكنه لم يكن يضايقني . وكل ما كان يهمني بتلك اللحظة هو نظراته وقرع قلبي.

وانحنى فوقي . وتراءت لي آخر ايام هذا الاسبوع وثقتي واطمئناني بقربه واسفت لاقتراب هذا الفم الطويل وقلت :

— سيريل كنا سعيدين جدا ..

وقبلني بلطف . كنت انظر الى السماء . ثم لم اعد ارى

سوى انوار حمراء تلتمع تحت جفني المغمضين . ومر الحر والدوار وطعم القبلات الاولى والتنهدات بدقائق طويلة . وارتفع زعيق نفير سيارة فانفصلنا كأننا لصان . وغادرت سيريل دون ان اقول له كلمة وصعدت الى المنزل . كانت هذه العودة السريعة تدهشني ، فمن المؤكد ان قطار آن لم يصل بعد . وعندما وصلت الى السطح رأيتها تنزل من سيارتها الخاصة . وقالت :

ــ هذا منزل الحسناء الراقدة ! لقد اسمر لونك كثيراً يا سيسيل . ان رؤيتك تسرني كثيراً .

واجبتها :

ــ وانا ايضاً . ولكن هل انت قادمة من باريس ؟

ــ لقد فضلت القدوم بالسيارة . انني منهوكة القوى .

وقدتها الى غرفتها . وفتحت النافذة املًا في ان أرى زورق سيريل ولكنه كان قد اختفى . وكانت آن قدجلست على السرير . ولاحظت ظلالا حول عينيها . وتنهدت قائلة :

ــ ان هذه الدارة بديعة . اين رب المنزل ؟

ــ لقد ذهب الى المحطة ليأتي بك ، تصحبه السا .

وكنت قد وضعت حقيبتها على مقعد وعندما التفت اليها تلقيت صدمة . كان وجهها قد تبدل فجأة . وقالت وشفتاها ترتجفان :

ــ السا ماكنبورغ ؟ هل احضر السا ماكنبورغ الى هنا ؟

ولم اجد ما اجيبها به . واخذت انظر اليها مأخوذة . هذا الوجه الذي عرفته هادئاً وسيد نفسه ، أراه الآن مثيراً لدهشتي .

كانت تنظر اليّ عبر الصور التي أوحت اليها بها كلماتي . ورأتني اخيراً فأدارت رأسها ، وقالت :

ـ كان عليّ ان ابلغكم . ولكني كنت استعجل الرحيل ، وكنت تعبة ...

واكملت انا جملتها آليا فقلت :

ـ والآن ...

وسألتني :

ـ والآن ماذا ؟

وكانت نظرتها متسائلة مزدرية .

ففركت كفّيّ وقلت بغباوة :

ـ الآن ، لقد وصلت . اني سعيدة لوجودك هنا . سأنتظرك تحت . واذا أردت ان تتناولي كأسا فالمشرب ممتاز .

وخرجت وانا اتعثر بكلامي ونزلت الدرج مشوشة الفكر . ترى ما سبب هذا الوجه المتغير وهذا الصوت المضطرب وهذا الضعف ؟ وجلست على مقعد طويل واغمضت عيني . واخذت احاول ان اتذكر جميع تعابير وجه آن القاسية والمطمئنة : السخرية والارتياح والسيطرة . كان اكتشاف هذا الوجه الحساس يؤثر بي ويثيرني . هل كانت تحب ابي ؟ أكان ممكناً ان تحبه ؟ لم يكن لديه ما يناسب ذوقها . كان ضعيفاً وخفيفاً ومائعاً احياناً . ام ان هذا كان من تأثير السفر المتعب ؟ وهكذا قضيت ساعة وأنا احلل الافتراضات .

وفي الساعة الخامسة وصل ابي مع السا . ونظرت اليه وهو

يترجل من السيارة . واخذت احاول ان اعرف اذا كان ممكناً ان تحبه آن . كان يسير نحوي بسرعة وقد مال برأسه الى الوراء . كان يبتسم . وفكرت بتلك اللحظة ان من الممكن كثيراً ان تحبه آن ، وان يحبه اي كان .

وصاح ابي قائلاً :

– لم تكن آن هنـــاك . ارجـو ألا تكون وقعت من باب القطار .

وأجبته :

– انها في غرفتها . لقد جاءت بالسيارة .

– صحيح ؟ هذا بديع ! لم يبق عليك الا ان تحملي الباقة اليها .

وارتفع صوت آن قائلاً :

– هل ابتعت لي زهوراً ؟ هذا لطيف منك .

كانت تنزل الدرج لتقابله منفرجة الاسارير باسمة ومرتديـــة فستاناً لا يبدو عليه اي أثر من آثار السفر . ولاحظت بحزن انها لم تنزل الا عندما سمعت صوت السيارة وانها كانت تستطيع ان تنزل قبلاً لتحادثني ولو بموضوع امتحاني الذي سقطت فيه . وشعرت ببعض العزاء من الفكرة الأخيرة .

وأسرع أبي يقبل يدها ويقول :

– لقد قضيت ربع ساعة على رصيف المحطة وبيدي هذه الباقة وعلى شفتي ابتسامة حمقاء . شكراً لله ، لقد جئت . أتعـــرفين السا ماكنبورغ ؟

وأجابت آن بلطف :

ـ أظن اننا تقابلنا . ان غرفتي بديعة وكان لطيفاً منك ان تدعوني يا ريمون . كنت تعبة جداً .

كان أبي سعيداً ينمق حديثه ويفتح زجاجات الشراب . أما انا فكنت اذكر ، بالتتابع ، وجه سيريل المنفعل ووجه آن ، هذين الوجهين اللذين رأيت العنف مرتسماً عليهما . وأخذت اتساءل اذا كانت العطلة ستمر بالبساطة التي تحدث عنها ابي .

كان هذا العشاء الاول الذي جمعنا مرحا . وراح أبي وآن يتحدثان عن معارفهما المشتركين رغم قلتهم . ولم اشترك بحديثهما الى ان اعلنت آن ان شريك ابي محروم من الذكاء . كان رجلاً يكثر تناول الخمر ولكنه كان لطيفاً وقد قضينا معه ، انا وابي ، سهرات لا تنسى .

واجبتها محتجة :

ـ ان « لومبار » ظريف . وانني اعتبره مسلياً .

ـ لا شك انك تقرّين بأن هذا لا يكفي ، وحتى مزاحه فانه . . .

ـ قد لا يكون له شكل الذكاء المعروف ولكنه . .

وقاطعتني قائلة :

ـ ان ما تسمينه شكل الذكاء ليس الا من آثار السنين .

واعجبني تعبيرها كل الاعجاب . وشعرت برغبة في ان يكون امامي دفتر صغير وقلم لاسجله . ولما اخبرت آن بذلك ضحك ابي وقال :

ـ انك ، على الاقل ، لا تحملين ضغينة .

ولم يكن باستطاعتي ان اضمر ضغينة ، لأن آن كانت تراعي دائماً شعور غيرها . ولم يكن في حديثها او تصرفاتهـــا اي اثر للخبث .

لم يبد على آن ، في تلك الليلة الاولى، انها لاحظت سهو السا، المقصود او العفوي، ودخولها غرفة ابي رأسا . كانت قد احضرت لي قميصا من مجموعتها ، ولكنها لم تدعني اشكرها ، وقبل ان اخرج قالت :

ـ انني اجد السا هذه لطيفة جداً .

كانت تحدق في عيني دون ان تبتسم كأنها تبحث عن فكرة تجول في رأسي لتقضي عليها . واجبتها :

ـ اجل ، اجل ، انها .. فتاة لطيفة ومحببة .

واضحكها تلعثمي فتركتها وذهبت للنوم وانا مضطربة . وقد اغفيت وانا افكر بسيريل الذي كان ولا شك يراقص الفتيات في « كان » .

الفصل الثالث

ايقظني ، في صباح اليوم التالي ، شعاع محرق من الشمس ملأ سريري ووضع حداً للاحلام الغريبة المتشابكة التي كنت اتخبط فيها . وحاولت ، وانا نصف نائمة ، ان ابعد هذه الحرارة عن وجهي بحركة من يدي ثم عدلت .

كانت الساعة العاشرة ، فنزلت ، وانا مرتدية « البيجاما » ، الى السطح حيث وجدت آن تتصفح الصحف ، ولاحظت انها استعملت بعض مساحيق التجميل . ولما لم تعرني اي انتباه جلست على درجة واخذت ارتشف قهوتي وامتص عصير برتقالة ، وفجأة قالت آن :

ـ الا تأكلين شيئاً يا سيسيل ؟

ـ انني افضل ان اشرب في الصباح لاني ...

ـ يجب ان يزداد وزنك ثلاثة كيلوغرامات ليصبح شكلك جميلاً . ان وجنتيك غائرتان وضلوعك ظاهرة بوضوح . اذهبي

لاحضار ما تأكلينه .
واخذت ارجوها الا تفرض عليّ ذلك . وعندما حاولت ان تثبت لي ان هذا ضروري ارتفع صوت ابي يقول بمرح :
- يا له من مشهد فاتن : فتاتان سمراوان في الشمس تتحدثان عن الطعام .
واجابته آن ضاحكة :
- هناك فتاة واحدة بكل اسف ، فانني بمثل سنك .
وانحنى ابي فوقها وامسك بيديها . ونظرت آن اليه ورفت اجفانها اضطرابا .
واغتنمت الفرصة لانسحب . فالتقيت بالسيا على الدرج . كان واضحا ، من اجفانها المنتفخة وشفتيها الممتقعتين ، انها خارجة من السرير . وكدت اوقفها واخبرها بان آن تحت بكامل زينتها . كدت احذرها . ولكنها كانت ستسيء فهمي ولا شك. كانت اصغر من آن بثلاث عشرة سنة ، وهذا باعتقادها سلاح قوي .
ارتديت لباس البحر واسرعت الى الخليج . وادهشني ان ارى سيريل هناك جالسا على زورقه . وجاء لملاقاتي وامسك بيدي وقد بدا عليه الجد وقال :
- اود ان اسألك العفو بشأن امس .
واجبته :
- كان الذنب ذنبي .
ولم اشعر بأي ارتباك بل ان تصرفه ادهشني .
واضاف وهو يدفع الزورق الى البحر :

ـ انني ألوم نفسي كثيراً .

واجبته بمرح :

ـ ليس هناك ما يوجب ذلك .

كنت قد اصبحت في الزورق . وبقي سيريل واقفا في الماء وقد اسند كفيه الى جانب الزورق . وادركت انه لن يصعد قبل ان يتكلم فاخذت اتطلع اليه باهتمام . واخيراً غلبني الضحك فقال :

ـ لا تضحكي لقد لمت نفسي امس . فليس هناك ما يحميك مني ، لا والدك ولا تلك المرأة ...

شعرت بأنه طيب وانه مستعد لان يحبني واني اود ان احبه . فلففت ذراعي حول عنقه والصقت خدي بخده . وهمست بأذنه :

ـ انك لطيف يا سيريل ، وستكون لي اخا .

وضم ذراعيه حولي وانتزعني من الزورق بغضب . وشدني الى صدره بقوة فاسندت رأسي الى كتفه .

في تلك اللحظة شعرت بأني احبه . وعندما بحثت شفتاه عن شفتي اخذت ارتجف مثله من اللذة . وكانت قبلتنا بدون ندم او خجل وقد تخللتها همسات رقيقة ...

وأخيراً أفلت منه وسبحت الى القارب الذي بقي تحت رحمة الامواج ...

في الساعة الحادية عشرة والنصف ذهب سيريل في الوقت الذي ظهر ابي و « امرأتاه » على الطريق الوعر المنحدر الى البحر . كان يسير بينهما ويسندهما مادا يده الى الواحدة تلو الاخرى .

وعندما وصلوا الى الشاطىء خلعت آن برنسها وتمددت على الرمل .

كانت رفيعة القوام ذات ساقين بديعتين . ولا شك بان هذا نتيجة سنوات من العناية والانتباه . ونظرت الى ابي ورفعتُ حاجبي اعجاباً . ولكنه ، لدهشتي ، لم يجبني بل اغمض عينيه . وكانت السا، في هذه الاثناء ، مشغولة بدهن جسمها بالزيت . ولم اعط أبي أكثر من اسبوع لكي يتخلص من ...

والتفتت آن اليّ وسألتني :

— لماذا تستيقظين مبكرة هنا ؟ كنت ، في باريس ، تبقين في الفراش حتى الظهر .

واجبتها مازحة :

— كان لدي عمل . وهذا كاف لأن يجعلني اتكاسل .

ولكنها لم تبتسم . لم تكن تبتسم بدافع اللياقة أبداً ، بل عندما تشتهي ذلك .

— وامتحانك ؟

— لقد سقطت فيه !

— يجب ان تنجحي في تشرين الاول .

وهنا تدخل ابي متسائلاً :

— لماذا ؟ انني لم أحصل على شهادة أبداً . ومع ذلك فانني أحيى حياة رفاهية .

— كانت لديك ثروة صغيرة عند البداية .

— ستجد ابنتى دائما رجالاً يتكفلون باعالتها .

وأخذت السا بالضحك ولكنها ما لبثت ان توقفت امام

نظراتنا المستغربة .

وأغمضت آن عينيها لحسم الموضوع وقالت :

– يجب ان تعمل سيسيل في هذه العطلة .

ونظرت الى ابي يائسة ، فأجابني بابتسامة مرتبكة . وتخيلت نفسي امام صفحات من « برغسن » وسطورها السوداء تتراقص امامي بينما ضحكة سيريل تصل إلي من تحت .

وأفزعتني هذه الفكرة . فجررت نفسي الى حيث جلست آن وناديتها بصوت خافت . وفتحت عينيها فأحنيت فوقها وجهاً قلقاً متوسلاً وانا اغير وجنتيّ ليبدو عليّ الارهاق الفكري وقلت لها :

– آن ، لا اظنك ستفعلين بي هذا فتجعلينني اعمل في هذا الجو الحار ، بينما ان صحتي بحاجة لهذه العطلة ...

– يجب ان افعل بك « هذا ... » حتى في هذا الجو الحار كما تقولين . انني اعرفك ، فلن تنقمي عليّ اكثر من يومين ولكنك ستنجحين في امتحانك .

واجبتها دون ان اضحك :

– هناك اشياء لا يفعلها المرء بغيره .

والقت عليّ نظرة باسمة فعدت الى التمدد على الرمل وقد انتابني القلق .

راحت السا تتحدث عن الحفلات التي تقام على السواحل ولكن ابي لم يجبها . كان جالساً في قمة المثلث المؤلف من اجسامهم ، وكان يلقي على شكل آن الجانبي وعلى كتفيهانظرات

ثابتة اعرفها جيداً . وكان يفتح كفه ويغلقه على الرمل بحركة ناعمة منتظمة .

ونهضت وركضت القي بنفسي في البحر وانا اتحسر على العطلة التي كنا سنتمتع بها والتي سنحرم منها . كانت لدينا جميع عناصر المأساة : رجل فاتن وامرأة خفيفة وامرأة ذات شخصية .

ورأيت في قعر البحر صدفة بديعة جمعت بين اللونين الوردي والازرق فغطست لالتقطها وابقيتها في يدي حتى الغداء . وقداعتبرتها جالبة للحظ فقررت ان احتفظ بها طول الصيف . ولا اعرف لماذا لم أضعها كما اضيع كل شيء . انها في يدي اليوم . وهي تجعلني اشعر برغبة في البكاء .

الفصل الرابع

في الايام التالية ادهشني لطف آن الزائد نحو السا .

لم تكن تلقي ابداً ، بعد الاحاديث السخيفة التي تجري على لسان السا ، واحدة من الكلمات التي تجيد انتقاءها والتي كانت كفيلة بان تثير السخرية بالسا . وكذلك حمدت لها سراً ، صبرها وكرمها ولكني لم اكن ادرك ان للبراعة دخلا بذلك . اذ ان ابي سيمل ، ولا شك ، من هذا الاصطدام المتواصل . وهكذا كان شاكراً لها ولم يكن يدري ما يجب عليه عمله ليعرب لها عن امتنانه . وبعد فقد كان هذا الامتنان عذراً .

ولا شك انه كان يحدثها كما يحدث امرأة محترمة جداً ، او كما يحدث اماً ثانية لا بنته . وكان يستخدم هذا السلاح متظاهراً بوضعي بحراسة آن وبجعلها مسؤولة عني وذلك ليزيد في تقريبها الينا وتعلقها بنا . الا ان نظراته كانت موجهة الى الانثى التي يشتهي التعرف اليها في اللذة . وهي ذات النظرات التي تذوقتها

احيانا لدى سيريل ، والتي جعلتني اشعر برغبة في الهرب منه واثارته ولكن يبدو اني اكثر تأثراً من آن اذ انها كانت تقابل نظرات ابي بعدم اكتراث وبلطف هادىء يطمئنني .

وقد بلغت حد الاعتقاد باني اخطأت اول يوم ، دون ان ألاحظ أن هذا اللطف كان يزيد في اثارة ابي . وكان صمت آن الطبيعي الانيق يصطدم بثرثرة السا الدائمة .

مسكينة السا ... لم تكن ترتاب بشيء. ولكن لا شك بانها فهمت ، يوما ، عندما انتبهت الى احدى نظرات ابي . ورأيتها قبل الغداء ، تهمس بكلمات في اذنه ، وبدا عليه الانزعاج لحظة ثم وافق مبتسما . وفيما كنا نتناول القهوة ، نهضت السا واتجهت الى الباب . وعندما وصلت اليه التفتت الينا باسترخاء استوحته ، ولا شك ، من السينما الاميركية ، وقالت بصوت جمعت فيه كل الاغراء الفرنسي :

– اتأتي يا ريمون ؟

واحمر ابي وهو ينهض وتبعها وهو يتمتم بكلام عن مزايا النوم بعد الظهر .

ولم تتحرك آن . وكان دخان لفافتها يتصاعد من بين اصابعها دون ان تهتم به . وشعرت بان علي ان اقول شيئا فقلت :

– يقول الناس ان القيلولة مريحة ، ولكنني اعتقد بان هذه الفكرة خاطئة ..

وتوقفت فجأة عن الكلام اذ ادركت معنى جملتي الخفي . وقالت آن بخشونة :

- ارجوك ..

لقد ادركت فوراً النكتة السمجة واخذت انظر الى وجهها الهادىء بتأثر . ولعلها كانت في تلك اللحظة تحسد السا بكل قواها.

وخطرت لي ، لكي اغريها ، فكرة وقحة سرتني مثل جميع الافكار الوقحة التي تخطر لي ، فقد كانت تشعرني باطمئنان مسكر . ولم استطع الامتناع عن التحدث بها فقلت :

- لاحظي ان احتراق جسم السا في الشمس لا يجعل هذه « القيلولة » لذيذة بالنسبة لكليهما .

وكان يحسن بي ان اظل صامتة ، فقد اجابتني آن :

- انني اكره هذا النوع من الملاحظات . انها ، في سنك ، اكثر من حمقاء ، انها مؤلمة .

وفجأة شعرت بنفسي اثور فهتفت :

- كنت اقول هذا مازحة . وبعد فاني واثقة ، في قرارة نفسي ، بانهما سعيدان .

وادارت نحوي وجها متعبا فاسرعت استغفرها . وعادت الى اغماض عينيها واخذت تتكلم بصوت خافت :

- ان نظرتك الى الحب نظرة ساذجة . انه ليس سلسلة من المشاعر المستقل بعضها عن بعض ...

وتذكرت ان جميع مغامراتي العاطفية كانت هكذا كانت تأثراً مفاجئاً امام وجه او حركة او اثر قبلة . وكل ما اذكره منها لحظات سعيدة لا صلة بينها .

وتابعت آن كلامها فقالت :

ـ ان الحب شيء آخر . هناك الحنان الدائم والعذوبة والشوق .. وهناك اشياء لا تستطيعين ان تفهميها .

ثم اشاحت بوجهها عني والتقطت احدى الصحف . وكنت افضل ان تغضب وان تتخلى عن عدم اكتراثها بخطأي العاطفي . وفكرت بأنها محقة واني اعيش ، كالحيوان ، على حساب الآخرين واني مسكينة ضعيفة . واخذت ازدري نفسي وكان هـذا يؤلمني كثيراً لاني لم اعتد ان احاكم نفسي .

صعدت الى غرفتي واخذت احـلم . وكانت كلمات آن تتردد في اذني : « انه شيء آخر ، انـــه الشوق . » هل اشتقت يوما الى احـد ؟

انني لا اذكر حوادث هذين الاسبوعين . فلم اكن اريد ان ارى فيها ، كما قلت ، اي تهديد . اما ما جرى بعـد ذلك فاني اذكره جيداً لأني كنت انتبه اليه واشترك فيـه بكل قواي . ولكن هذه الاسابيـع السعيدة ..

في اي يوم حدّق ابي بثغر آن ولامها ، بصوت عال ، لعـدم اكتراثها وهو يتظاهر بالضحك ؟ وفي اي يوم قارن بين رقتها ونصف بلاهة السا ؟ كان اطمئناني يستند الى تلك الفكرة السخيفة ، وهي أنهما متعارفان منذ خمس عشرة سنة وانهما ، لو كانا سيتحابان ، لكانا فعلا ذلك قبل الآن . وكنت اقول لنفسي :

« لو حدث هذا فسيعشق ابي آن ثلاثة شهور وستحتفظ آن ، من كل هذا ، بذكريات مثيرة وببعض الاهانة »

مع اني كنت اعرف ان آن امرأة ليس من السهـل هجرها ،

ولكن سيريل كان هنا ، وكان وجوده كافيا ليشغل تفكيري . كنا نسهر كثيراً سوية فنرقص في حانات « سان تروبيز » ونحن نتبادل كلمات الحب العذبة ، ثم ننساها في الغد . وفي النهار ، كنا نقوم برحلات على زورقه الشراعي ، وكان ابي يرافقنا احيانا ، وقد اعجب بسيريل ، خاصة عندما تركه هذا الاخير يغلبه في سباق سباحة . كان يدعوه « صغيري سيريل » ، وكان سيريل يدعوه « يا سيدي » ولكني كنت اتساءل عمن كان الرجل منهما .

ذهبنا ، بعد ظهر احد الايام ، لتناول الشاي بمنزل والدة سيريل . وقد حدثتنا هذه العجوز الهادئة الباسمة ، بالمصاعب التي واجهتها كأرملة وأم . ووجه ابي الى آن نظرات امتنان وأثنى كثيراً على السيدة . واقر هنا بأنه لم يكن يخشى ابداً ان يضيع وقته . اما آن فقد كانت تبتسم ابتسامة محببة .

وفي اثناء العودة قالت ان السيدة بديعة . ولكني انفجرت احمل على هذا النوع من العجائز . وكان جوابها ابتسامة متسامحة اثارتني فصحت :

– انكما لا تدركان انها مسرورة من نفسها . وانها تهنىء نفسها لانها تشعر بأنها قامت بواجبها و . .

وقاطعتني آن :

– ولكن هذا صحيح . لقد قامت بواجباتها كأم وزوجة . .

وسألتها :

– وواجبها كبغي ؟

– انني لا احب البذاءة ، ولو كانت طريفة .

- انني لا اقصد الطرافة ، لقـد تزوجت كما يتزوج جميع الناس ، بدافع الرغبة او لان هذه هي العادة . ثم وضعت ولداً، أتعرفين كيف يأتي الاولاد ؟

وأجابت آن ساخرة :

- اقل مما تعرفين ولا شك ! ولكن لديّ بعض المعلومات !

- لقد قامت بتربية هـذا الولد . وقد تكون تخلصت من هموم الفساد ومتاعبه . عاشت كما تعيش ألوف النساء وهي فخورة بذلك . كانت زوجة واماً ، من الطبقة الوسطى ، ولم تفعل شيئا لتغيّر وضعها . انها تفخر بأنها لم تفعل هذا او ذاك ، وليس بأنها فعلت شيئا .

وتدخل ابي قائلًا :

- انني لا اجد معنى لهذا .

وهتفت :

- انها تقول : « لقد قمت بواجبي » ، لانها لم تفعل شيئاً . ولو اصبحت ، بعد ولادتها بوسطها هـذا ، من فتيات الشوارع لاستحقت الثناء .

وقالت آن :

- ان لديك افكاراً رائجة اليوم ، ولكنها بدون قيمة .

وربما كان هـذا صحيحا ، كنت اعني ما اقول ، ولكنني كنت اردد ما سمعته . ومع ذلك فان حياتي وحياة ابي كانتا تسيران على هذا المبدأ . وكان ازدراء آن يجرحني . قد يتعلق

المرء باشياء تافهة كما يتعلق باشياء اخرى . ولكن آن ما اعتبرتني يوماً مخلوقاً مفكراً . وشعرت فجأة بدافع ملحّ الى ان اغيّر نظرتها إليّ . وفي الوقت ذاته اقررت ، بيني وبين نفسي ، بان آرائي ستتبدل بعد شهر وان ايماني بهذه الفكرة او تلك لن يدوم.
ترى كيف استطيع ان اصبح ذات شخصية قوية ؟

الفصل الخامس

وفي احد الايام ، حلت النهـــاية . فقد قرر ابي ، في ذلك الصباح ، اننا سنذهب لقضاء السهرة في « كان » . انني اذكر سرور إلسا . فقد توقعت ان تعود اليها شخصيــة المرأة الخطرة ، في جو الملاهي المعتادة عليه . وبعكس ما توقعت ، لم تعارض آن هـذه الفكرة ، بل انهـا حبذتها . وهكذا صعدت باطمئنان الى غرفتي بعد العشاء ، لارتدي فستان السهرة الوحيد الذي املكه .

وعندما عدت وجدت ابي ينتظر وقد ارتدى السموكنغ . فلففت ذراعي حول عنقه وقلت له :

ـ انك اجمل رجل اعرفه .

واجاب دون ان يؤمن بما يقول :

ـ ما عدا سيريل .

واضاف :

ـ انك اجمل فتاة اعرفها .

واجبته دون ان اؤمن بما اقول :
ـ بعد السا وآن .
ـ بما انهما غائبتان وتسمحان لنفسيهما بجعلنـــا ننتظر ، تعالي ارقصي مع والدك الكهل .
لم يكن يشبه الكهول بشيء. وكانت رائحة عطره المعتادوتبغه تحيطان بي . واخذ يرقص بايقاع وقد اغلق عينيـه نصف اغلاقة وارتسمت على شفتيـــه ابتسامة سعيدة . وقال وقد نسي آلام الروماتيزم :
ـ يجب ان تعلّميني رقصة الـ « بي بوب » .
وتوقف عن الرقص ليستقبل السا بكلمة ثناء آليـــة . كانت تنزل الدرج بتمهل وقـد ارتدت ثوباً اخضر ورسمت على شفتيها ابتسامتها المفضلة ، ابتسامة الكازينو . وقالت :
ـ أنذهب ؟
قلت :
ـ اننا ننتظر آن .
وقال لي ابي :
ـ اصعدي واسأليها اذا كانت مستعدة ، وإلا فاننا لن نصل الى «كان» قبل منتصف الليل .
ارتقيت الدرج وانا اتعثر بفستاني وقرعت باب غرفـة آن . فصاحت تطلب مني الدخول . وفتحت الباب وجمدت على العتبة . كانت ترتدي فستانا رماديا قريبا من الابيض يضفي النور عليه بعض الوان البحر . وكانت فاتنة . وهتفت :

ـ بديع ! آن ، ان ثوبك بديع !

وابتسمت للمرآة كما يبتسم المرء لشخص سيغادره وقالت :

ـ ان هذا اللون الرمادي يلقى الاعجاب .

قلت :

ـ بل انت التي تثيرين الاعجاب .

امسكت آن باذني واخذت تنظر اليّ . كانت عيناها زرقاوان زرقة داكنة . ورأيتهما تشرقان وتبتسمان وهي تقول :

ـ انك فتاة لطيفة ، رغم انك متعبة احيانا .

ومرت امامي دون ان تدقق النظر بفستاني . وعندما اخذت تنزل رأيت ابي يتقدم لاستقبالها . ووقف عند آخر السلم وقد وضع قدمه على اول درجة ورفع وجهه اليها . وكانت السا تنظر اليها . انني اذكر هذا المشهد جيداً : امامي كتفا آن البديعتان ، وتحت قليلاً وجه ابي المذهول ويده الممدودة ، وفي البعيد ، السا . وقال ابي :

ـ آن ، انك فاتنة .

وابتسمت وهي تمر امامه واخذت معطفها قائلة :

ـ انلتقي هناك ؟ هل تأتين معي يا سيسيل ؟

وقد تركتني اقود سيارتها وكان الليل جميلاً فاخذت اقود ببطء . ولم تكن آن تتكلم . ولم يبد عليها انها تسمع الموسيقى الصاخبة المنبعثة من جهاز الراديو . وعندما تجاوزتنا سيارة ابي عند احد المنعطفات ، لم تظهر انزعاجها . واخذت اشعر بنفسي امام حوادث لا استطيع التدخل فيها .

وفي الكازينو قام ابي بمناورات بارعـــة ادت الى تفرقنا .
ووجدت نفسي على المشرب مع السا وأحد معارفها ، وهو رجل من جنوب اميركا يهتم بالمسرح . ورغم سكره قضيت ساعة جميلة بصحبته . ولكن السا كانت تشعر بالملل . لم تكن تهتم بالناحية الفنية من المسرح . وفجأة سألتني اين ابي ، كما لو كنت اعرف ذلك ، وابتعدت . وبدا الحزن على الاميركي الجنوبي لحظة ولكن كأس ويسكي اعادت اليه مرحه . وعندما اراد ان يراقصني بدا شكله مضحكا . كنت مضطرة لان احمله تقريبـــا وان اسحب قدمي من تحت قدميه . وكنا نضحك بكل قوانا الى درجة اني ، عندما ربتت السا على كتفي ورأيت وجهها المكفهر ، كـدت ارسلها الى الجحيم . قالت :

ــ انني لم اجدهما .

كان وجهها كئيبا وقد زالت المساحيق عنه . وشعرت فجأة بالحنق ، فقلت لها بلهجة اضفيت عليها بعض الهدوء :

ــ انني اعرف مكانهما . ساعود .

وما كدت انسحب حتى فقد الاميركي الجنوبي توازنه ووقع بين ذراعي السا .

كان الكازينو واسع الارجاء . وقـد طفت فيه مرتـين او ثلاثا دون نتيجة . ومررت بجميع اسطحته واخيراً خطرت لي السيارة . وعندما وصلت اليها رأيتهما في المرآة الامامية . كانا ملتصقين يتبادلان نظرات عميقة فيما اخـــذت شفاههما تتحرك بحديث خافت . وشعرت بالرغبة في العودة ولكنني تذكرت السا

ففتحت الباب .

كانت يد ابي علـى ذراع آن وعندما شعرا بي القيـا عليّ نظرة حالمة . قلت :

ـ هل تلهوان ؟

وسألني ابي بضيق :

ـ ماذا هنالك ؟ ماذا تفعلين هنا ؟

ـ وانت ؟ ان السا تبحث عنك منذ ساعة .

وأدارت آن رأسها نحوي ببطء وقالت كمن يشعر بأسف :

ـ اننا عائدان الى المنزل . قولي لها اني شعرت بالتعب وان اباك رافقني . وعندما تنتهيان من اللهو عودا بسيارتي .

واخذت ارتجف من الغيظ ووجـــدت الكلام بصعوبة ، فقلت :

ـ عندما ننتهي من اللهو ! ولكنكما لا تدركان ما يحدث ! هذا مقرف !

وقال ابي بدهشة :

ـ ما هو المقرف ؟

ـ انك تصحب فتـــاة حمراء الشعر الى البحر تحت شمس لا تستطيع تحملها . وعندما يحترق جسمها تهجرها . هذا سهل جداً ! ولكن ما الذي سأقوله لالسا ؟

وكانت آن قد التفتت اليه فأخذ يبتسم لها دون ان يصغي إليّ .

وثارت نقمتي الى آخر حد فصحت :

ـ سوف ... سوف اقول لها ان ابي وجد امرأة اخرى يرقد

معها وان عليها ان تمر في موعد آخر . اليس كذلك ؟

وبذات اللحظة سمعت صيحـــة ابي وشعرت بصفعة آن . واخرجت رأسي بسرعة من الباب . لقد آلمتني . وقال ابي :

– اعتذري .

وبقيت جامدة قرب الباب وقد اخذت الافكار تعصف برأسي وقالت آن :

– تعالي .

لم يكن في لهجتها تهديد فاقتربت منها . ووضعت يدها على خدي وحدثتني بلطف وبطء كما لو كنت لا افهم بسرعة . قالت :

– لا تكوني شريرة . انني آسفة لاجل السا . ولكنك تحسنين تدبير هذه الامور برقة . سوف نتبادل الايضاح غداً . هل آلمتك؟

واجبتها بادب :

– طبعا .

وشعرت ، بعد هذا اللطف المفاجىء وتصرفي الاهوج ، برغبة في البكاء . ووقفت جامدة انظر اليهما ينطلقان بالسيارة . وعدت بخطوات بطيئة الى الكازينو وانضممت الى السا والامـــيركي الجنوبي المتعلق بذراعها .

قلت بلهجة طبيعية :

– شعرت آن بانزعاج فاضطر ابي للعودة بها الى المنزل . هل سنشرب شيئاً ؟

وظلت السا تحدق بي دون ان تجيب . واردت دعم كلامي فقلت :

– لقد تقيأت ولطخت ثوبها ..

وبدا لي هذا التفصيل صارخاً بالحقيقة ولكن السا اخـــذت تبكي بهدوء وحزن وهي تتمتم :

– سيسيل ، سيسيل ، لقد كنا سعداء ..

وتضاعف نحيبها . واخذ الاميركي الجنوبي ينتحب هو الآخر وهو يردد :

– كنا سعداء ، سعداء جدا .

في هذه اللحظـــة كرهت آن وأبي ، وكنت مستعدة لأن افعل كل شيء لأحول دون بكاء السا وذوبان مساحيق زينتهـــا ونحيب ذلك الاميركي .

– لم ينته كل شيء يا السا . عودي معي .

واجابت وهي تشرق بدموعها :

– سأعود قريباً لآخذ حقائبي . الوداع يا سيسيل . لقد كنا على تفاهم تام .

لم اكن قد حادثتها سوى عن الازياء والطقس ولكني شعرت مع ذلك ، بأني افقد صديقة قديمـة . واستدرت فجأة وركضت الى السيارة .

الفصل السادس

استيقظت صباح اليوم التالي ، فوجدت نفسي مستلقية على عرض السرير وقد شاع الارتخاء في اعضائي وجف حلقي . ولا شك ان هذه هي آثار الوسكي .

لم اشعر بالرغبة في ان اغادر سريري او ان ابقى فيه. ورحت اتساءل عما سيكون موقف ابي وآن اذا عادت السا . واجبرت نفسي على التفكير بها حتى لا انتبه الى الجهد الذي ابذله لانهض . ونهضت اخيراً ووجدت نفسي حافية على بلاط الغرفة البارد . ونظرت الى المرآة فاذا بها تطالعني بمنظر كئيب : عينان ذابلتان وشفتان منتفختان ووجه غريب هو وجهي .

هل اكون ضعيفة وجبانة بسبب هذه الشفة وهذه النسب وهذه الحدود الكريهة ؟ واذا كنت محدودة لماذا ادرك ذلك بهذا الوضوح ؟ كنت الهو بكره نفسي ، كره وجه الذئب هذا الذي البسه التهتك طابعه. واخذت اردد كلمة تهتك وانا احدق بعينيّ .

وفجأة رأيت نفسي ابتسم . اي تهتك ؟ بضع كؤوس وصفعة وبكاء !
نظفت اسناني ونزلت . كان ابي وآن على السطح وقد جلسا متجاورين امام طعام الفطور وحييتهما ببرود وجلست امامهما. ومنعني الحياء من النظر اليهما ، ولكن استمرار صمتهما اجبرني على رفع عيني . كانا يبتسمان بسعادة ، كمن قضى ليلة غرام ممتعة . واثر بي هذا المشهد، فقد كانت السعادة دائماً ، بالنسبة اليّ ، تعويضاً عن كل شيء .

قال ابي :

– هل نمت جيدا ؟

– تقريباً . لقد اكثرت من تناول الويسكي ليلة امس .

وصببت لنفسي فنجان قهوة ولكني اعـــدته الى مكانه فور تذوقها .. ولم استطع تحمل صمتهما فقلت :

– ماذا يجري ؟ انكما كمن يكتم سراً .

واشعل ابي لفافة محاولا التظاهر بالهدوء . وراحت آن تنظر اليّ وقد بدا الاضطراب عليها ، لاول مرة .

واخيراً قالت :

– اريد ان اسألك شيئاً .

وتوقعت اسوأ الامور فسألتها :

– أهناك مهمة جديدة لدى السا ؟

وادارت وجهها نحو ابي وقالت :

– قررنا ، انا ووالدك ، ان نتزوج .

حدقت فيها بامعان ثم التفت الى ابي . وتوقعت اشارة منه ،

او غمزة تثير ازدرائي وتطمئنني بذات الوقت . ولكنه كان ينظر الى يديه. واخذت اقول لنفسي : « هذا مستحيل » ولكني كنت اعرف انه الحقيقة .

وقلت محاولة ان اربح الوقت :

– هذه فكرة جيدة .

لم اكن استطيع ان افهم . هل اقتنع ابي ، الذي عارض الزواج بقوة ، في ليلة واحدة ؟ كان هذا يبدل كل حياتنا ويحرمنا من استقلالنا . وتخيلت حياتنا نحن الثلاثة ، وقد اصبحت فجأة متزنة بذكاء آن ونعومتها ، هذه الحياة التي احسدها عليها : اصدقاء اذكياء وسهرات سعيدة هادئة .. وشعرت فجـأة باني ازدري السهرات الصاخبة والاميركيين الجنوبيين وشبيهات السا. وانتابني شعور بالرفعة والكبرياء .

وكررت وانا ابتسم :

– انها فكرة جيدة جداً .

وقال ابي :

– يا قطتي الصغيرة ، كنت واثقاً بانك ستكونين سعيدة .

كان السرور بادياً عليه. ورأيت وجه آن اكثر حنانا مما رأيته في اي يوم مضى . واضاف ابي :

– اقتربي يا قطتي ..

ومدّ اليّ ذراعيه وجذبني اليه واليها . كنت نصف راكعة امامهما ، وكانا ينظران الي بلطف وهما يداعبان رأسي . اما انا فلم اكف عن التفكير بان حياتي ربما كانت تتحول الآن ولكني

لم اكن بالنسبة اليهما ، سوى قطة ، او حيوان صغير عطوف . كنت اشعر بهما فوقي ، يجمعهما ماض ومستقبل وروابط لا اعرفها ولا تستطيـع ان تقيدني .

اغمضت عيني واسندت رأسي الى ركبها وشاركتها بالضحك مستعيدة دوري . وبعد، ألم اكن سعيدة ؟ كانت آن ممتازة ولم اجد لديها صغائر ابداً . سوف تقودني وتخلصني من حياتي وتدلني على الطريق التي يجب ان اسلكها. وسأصبح مكتملة وسيكتمل ابي معي .

نهض ابي لاحضار زجاجة شامبانيا . كان سعيداً . وهـــذا اكثر ما يهمّني ولكنني غالبا ما رأيته سعيداً بسبب امرأة ..

وقالت آن :

ــ كنت خائفة منك قليلًا ..

وسألتها :

ــ لماذا ؟

وقد شعرت ، وانا اسمعها بان معارضتي كانت كفيلة بالحيلولة دون زواجها .

واجابت وهي تضحك :

ــ كنت اخشى ان تكوني خائفة مني .

واخذت اضحك ايضا ، اذ اني ، في الواقع ، كنت خائفة منها بعض الخوف . وقد افهمتني انها تعرف ذلك واني مخطئة بخوفي .

قالت :

ــ ألا يبدو لك زواج كهلين مضحكا ؟

– انتما كهلين

وقد قلت هـــذا وانا مقتنعة به ، لاني رأيت ابي عائداً وقد حمل زجاجة واخذ يرقص .

وجلس بجانب آن ولف ذراعه وراء كتفها . ومالت بجسمها اليه بحركة جعلتني اخفض نظري . لا شك انها تتزوجه لاجل هذا، لاجل ضحكته وهذه الذراع القوية المطمئنة وحيويته وحرارته .

لم افكر يوماً بآن كأمرأة بل كوحدة كاملة . لقد رأيت فيها الثقة بالنفس والاناقة والذكاء ، ولكني لم ار فيها ابداً الشهوة والضعف . وادركت سبب فخر ابي : ان آن لارسن المتكبرة المتعالية تتزوجه . هل يحبها ؟ وهل يستطيع ان يحبها طويـــلا ؟ وهل استطيع التفريق بين هذه العاطفة والعاطفة التي كان يكنهـا لالسا ؟

اغمضت عيني واستسلمت للشمس تشيع الارتخاء في اوصالي..

لم تأت السا في الايام التالية ، ومر اسبوع بسرعة . سبعة ايام سعيدة لذيذة ، و... الوحيدة ! كنا نرسم الخطط المعقدة لانواع الاثاث والمواعيد . وكنت وابي نشعر بلذة في الاكثار مـــن الخطط يدفعنا جهلنا التام بها . وبعد ، هل اعتقدنا يوما ان هذا سيحدث ؟ هل كان ابي يعتقد بانه سيـأتي الى ذات المكان كل يوم لتناول الغداء بذات الساعة وبأنه سيتناول العشاء في منزله ويبقى فيه ؟ ومع ذلك فانه اخذ يطلق الحياة البوهيمية بجـذل ويتعلق بالنظام والحياة البسيطة الانيقة .

احتفظت ، من هذا الاسبوع ، بذكرى استعيـــدها اليوم

بلذة لاجرب نفسي . كانت آن منطلقة لطيفة . وكان ابي يحبها . وكنت اراهما ينزلان ، في الصباح ، يستندان الى بعضهما البعض ويضحكان وقد ارتسمت حول عيونهما هالات زرقاء . واقسم اني كنت اود ان يستمر هذا طول العمر . وفي المساء ، كنا ننزل غالبا الى الشاطىء نتناول كأسا في احدى القهاوي . وكان الناس في كل مكان ، يعتقدون باننا عائلة متحدة عادية . وكنت سعيدة لعودتي الى القيام بالدور الطبيعي لمن كان بسني ، بعد ان اعتدت الخروج وحيدة مع ابي وتلقي الابتسامات والنظرات الخبيثة او المشفقة . وقد تقرر ان يعقد الزواج في «باريس» عند عودتنا .

كان سيريل يراقب تحولنا الداخلي بدهشة . ولكن هذه النهاية الشرعية سرته . وقد استمررنا في التجول بزورقه وتبادل القبل عندما يحلو لنا ذلك . وفيما كان يضغط بفمه على فمي كنت اتخيل وجه آن المتقلص في الصباح وحركاتها التي يرخيها الحب . وكنت احسدها . ويقينا لو احبني سيريل اقل قليلا لاصبحت عشيقته في ذلك الاسبوع .

ونعود في الساعة السادسة فيجر سيريل الزورق على الرمال ونتجه الى المنزل عبر غابة الصنوبر . ونريد ان ندفىء انفسنا فنتسابق ونختلق العابا هندية . وكان سيريل يلحق بي دائما قبل المنزل فيلقي بنفسه فوقي وهو يطلق ضحكة الانتصار ويدحرجني على اشواك الصنوبر ويقبلني . واني اذكر طعم هذه القبلات اللاهثة وقرع قلب سيريل على قلبي بايقاع ينسجم وصوت الامواج على الرمل . واحدة ، اثنتان ، ثلاث ، اربع قرعات قلب ، ثم ذلك الصوت

الناعم على الرمل ، واحد ، اثنان ، ثلاثة ..

وتهدأ انفاس سيريل وتطول قبلته فلا اعود اسمع هدير البحر بل يطن في اذني غليان الدم في عروقي .

وفي احدى الامسيات فرّقنا صوت آن . كان سيريل مستلقيا بجانبي وقد غمرت شمس المغيب جسمينا نصف العاريـــين بجمرة خفيفة . ولا الوم آن لأن هذا المشهد اثارها . وقد اكتفت بان لفظت اسمي بلهجة صارمة .

وقفز سيريل واقفاً وقد احمر خجلا . ونهضت بدوري ببطء وانا انظر الى آن التي التفتت الى سيريل وقالت له بهدوء وكأنها لا تراه :

ـ ارجو الا اراك ثانية .

ولم يجب وانحنى فوقي وقبل كتفي قبل ان يبتعـــد . وقد ادهشني تصرفه وأثر بي كعهد يقطعه على نفسه . وكانت آن تنظر اليّ وكأنها تفكر بشيء آخر . واثارني هـذا . اذا كانت تفكر بشيء آخر فانها تخطىء بالاكثار من الكلام .

تقدمت منها وانا اتظاهر بالارتباك . وامتدت يدها الى عنقي ترفع شوكة صنوبر وبدا عليهـا انها تراني . ورأيت وجهها يتحول ويرتدي قناع الازدراء والاعيـــاء الذي يزيدها جمالاً ويخيفني قليلًا . وقالت :

ـ عليك ان تدركي ان هذا النوع من اللهو ينتهي عـادة في المستشفى .

كانت تكلمني واقفة وهي مثبتة عينيها بي ، بينما سادني الارتباك .

كانت من النساء اللواتي يستطعن الكلام وهن منتصبات دون ان يتحركن . اما انا فأحتاج الى مقعد وشيء امسكه ولفافة تبغ والى تحريك ساقي وانا انظر اليها ..

قلت وانا ابتسم :

– لاحاجة للمبالغة . لم افعل سوى تقبيل سيريل ، ولن يؤدي بي هذا الى المستشفى .

واجابتني وكأنها تشعر بأني اكذب :

– ارجوك الا تعودي لمقابلته . لا تحتجي . انك في السابعة عشرة واشعر باني مسؤولة عنك الآن ، ولن ادعك تفسدين حياتك . وبعد فان لديك عملا وسيشغلك هذا بعد ظهر كل يوم .

وادارت ظهرها وعادت الى المنزل ، بينما بقيت مسمرة في مكاني . كانت تعني ما تقول . وستقابل اعذاري ونفيي بقلة اكتراث اسوأ من الازدراء كما لو كنت غير موجودة وكأني لست انا سيسيل التي تعرفها من زمن ، والتي كانت تستطيع ان تعاقبني هكذا .

كان ابي املي الوحيد . ولا شك انه سيقول كالعادة :

– من هو هذا الشاب يا قطتي ؟ هل هو جميل وصحيح الجسم ؟ احذري السفلة يا صغيرتي .

كان عليه ان يتصرف هكذا وإلا قضي على عطلتي .

مر العشاء كالحلم المفزع ، لم تقل لي آن : « لن اخبر والدك بشيء ، فلست من الوشاة ، ولكن عليك ان تعديني بأن تعملي

بجد » . فقد كانت تجهل هذا النوع من المساومات . وهنأت نفسي على ذلك ولكني ، بذات الوقت ، حنقت عليها لانها لو قالت ذلك لكانت اتاحت لي ان احتقرها . وقد تجنبت هذا الخطأ . وبدا عليها انها لم تتذكر الحادث الآن بعد تناول الحلوى . قالت :

ـ اود ان توجه بعض النصائح السديدة الى ابنتك يا ريمون ، فقد فاجأتها في غابة الصنوبر ، هذا المساء ، مع سيريل . وكانا منسجمين كل الانسجام .

وحاول ابي المسكين ان يحول الامر الى مزاح فهتف متظاهراً بالدهشة :

ـ ماذا تقولين ؟ ماذا كانا يفعلان ؟

وهتفت بدوري :

ـ كنت اقبله . وقد ظننت آن ..

وقاطعتني قائلة :

ـ لم اظن شيئاً ، ولكني اعتقد بان الوقت قد حان لان تكف سيسيل عن لقائه بعض الوقت وان تعد شهادة الفلسفة .

واجاب ابي :

ـ يا لها من صغيرة مسكينة . وبعد ، ان سيريل فتى لطيف .

ـ وسيسيل ايضا فتاة لطيفة . لذلك يسوؤني ان يقع لها حادث . ونظراً للحرية التامة التي تتمتع بها هنا ، وصحبة هذا الفتى واستهتارهما ، ارى ان هذا ضروري . ألا ترى ذلك انت الآخر ؟

وعند كلمتي « انت الآخر »رفعت عيني بينما خفض ابي نظره بضيق وقال :

– لا شك انك محقة . وبعد ، عليك ان تعملي قليلاً يا سيسيل . أتريدين ان تعيدي دراسة الفلسفة ؟

واجبته باقتضاب :

– بماذا يهمني هذا ؟

نظر اليّ ثم اشاح بعينيه . وامسكت آن بيدي فوق المائدة وقالت :

– ستهجرين شخصية فتاة الغابات وتحلي محلها شخصية التلميذة المجتهدة مدة شهر واحد فقط . هل هذا خطير ؟

– اجل انه خطير !

وقد قلت هذا بصوت خافت جداً حتى انهما لم يسمعاني او لم يرغبا بسماعي .

في صباح الغد وجدت نفسي امام جملة لبرغسن :

« مهما كان الاختلاف الممكن العثور عليه بين الوقائع والسبب ، ورغم التباعد بين قاعدة التصرف وتأكيد اسس الامور ، فقد استمد الناس قوة حب الانسانية ، من الاتصال بالمبدأ المولّد في الجنس البشري . »

اخذت اردد هذه الجملة بصوت خافت في البداية ، حتى لا تثور اعصابي ، ثم بصوت مرتفع . ووضعت رأسي بين كفي ورحت احدق بها . وأخيراً فهمتها وشعرت بنفسي باردة وعاجزة كما كنت عندما قرأتها اول مرة .

لم اكن استطيع الاستمرار ، فرغم تمعّني بالسطور التالية هب فيّ شيء كريح عاصفة القاني على السرير .

اخذت افكر بسيريل الذي ينتظرني عند الخليج الذهبي ، وبتمايل المركب الناعم وبطعم قبلاته وبآن . وقد فكرت بها بصورة جعلتني اجلس على السرير خافقة القلب وانا اقول لنفسي ان هذا احمق ومريع واني لست سوى طفلة مفسودة كسولة وان لا حق لي بالتفكير هكذا . ولكني استمررت ، بالرغم مني ، افكر بانها مضرة وخطرة وان من الواجب ابعادها من طريقنا . وتذكرت العشاء الاخير وانا اشد على اسناني . وكنت آخذ على آن انها تدفعني لان ازدري نفسي . كانت تمنعني من ان احب نفسي . انني ، انا المخلوقة للسعادة والود وعدم الاكتراث ، ادخل معها عالماً من التأنيب اضيع فيه . وبماذا كانت تأتيني ؟

وقدرت قوتها : لقد أرادت ابي فحصلت عليه ، وستجعل منا شيئاً فشيئاً ، زوج آن لارسن وابنة زوجها اي انها ستحولنا الى شخصين مقيدي التصرف حسني التربية وسعيدين . اذ انها ستجعلنا سعيدين . وكنت اتخيل السهولة التي سنستسلم بها لجاذب القيد . وقد بدأ ابي يفترق عني . وتذكرت ، وانا اشعر برغبة في البكاء ، حياتنا الماضية ومرحنا ونحن عائدان في السيارة ، عند الفجر ، عبر شوارع باريس البيضاء . لقد انتهى كل هذا . سوف تؤثر آن بي ، انا الاخرى ، وتسيطر عليّ وتوجهني . ولن يؤلمني هذا ابداً ، اذ انها ستستخدم الذكاء والسخرية والذوق دون ان استطيع مقاومتها . ولن اعود اشعر برغبة في ذلك بعد ستة

شهور .

لقد اصبح واجباً ان انتفض واستعيد ابي وحياتنا الماضية . وبدت لي السنتان اللتان مضتا فجأة ساحرتين مع اني انكرتهما منذ ايام ..

كنت اسعى الى حرية التفكير ، التفكير السيىء ، التفكير القليل ، وحرية اختيار حياتي واختيار نفسي . ولا استطيع ان اقول ان اصبح انا نفسي اذ اني لم اكن سوى عجينة لينة ترفض القالب .

انني اعرف ان بالامكان نسب هـذا التحول الى اسباب معقدة وان بالامكان الباسي عقدا نفسية بديعـة ، كحب قوي اكنه لابي او عاطفة عدائية نحو آن . ولكني اعرف الاسباب الحقيقية ، انها الحرارة وبرغسن وسيريل ، او بالاحرى غيـاب سيريل . وقد قضيت طول بعدالظهر افكر بالامر ووصلت الى هذا الاكتشاف ، وهو اننـــا تحت رحمة آن .

لم اكن معتادة على التفكير وقد اثار هـذا اعصابي . وعند العشاء لم افتح فمي ، وظن ابي ان عليه ان يجعل هذا هدفا للمزاح فقال :

ـ ان ما احبه في الشباب هو حماسته وحديثه ..

تطلعت اليه بعنف وقسوة . صحيح انه يحب الشبـــاب وكم تحـــدثنا عن الحب والموت والموسيقى . وشعرت بانه يهجرني ويجردني من سلاحي . ونظرت اليه وانا افكر :

« لم تعد تحبني كالماضي ، انك تخونني » .

واخذت احاول افهامه ذلك دون ان اتكلم . ونظر الي وبدا عليه الذهول فجأة كأنه ادرك ان الامر لم يعد لعبا وان تفاهمنا اصبح في خطر ...

والتفتت آن اليّ وقالت :

ـ ان التعب باد عليك . وانني اشعر بالندم لاجبارك على العمل .

لم اجبها . فقد كنت اكره نفسي كثيراً لخلقي هذه المأساة التي لا اعرف كيف اوقفها .

كنا قد انتهينا من العشاء ، وعلى السطح ، في المربع المضيء الصادر من نافذة غرفة الطعام ، رأيت يد آن ، تلك اليد الطويلة النابضة بالحياة ، تتأرجح وتلتقي بيد ابي ، فتذكرت سيريل . كم اشتهيت ان يضمني بين ذراعيه ، على هـذا السطح ، ويداعبني ويواسيني ويصالحني مع نفسي . وصمت ابي وآن : كانت امامهما ليلة حب وكان امامي برغسن !

وحاولت عبثا ان ابكي واثير شفقتي على نفسي ، فقد كنت اشفق على آن كما لو كنت واثقة من التغلب عليها .

القسم الثاني

الفصل الاول

ان صفاء ذكرياتي ، ابتداء من هـذه اللحظة ، يدهشني ، فقد اخذت اولي الآخرين واولي نفسي انتباهاً اكثر . وقد اثرت بي هذه الأيام الى حـد جعلني افكر واراقب نفسي كيف اعيش . ومررت بجميع متاعب المراقبة الداخلية دون ان اصالح نفسي . وكنت افكر :

« ان هذا الشعور نحو آن غبي ، كما ان الرغبـة بابعادها عن ابي متوحشة . »

ولكن لماذا احاكم نفسي ؟ ألست حرة بالاحساس بما يحدث؟ واول مرة في حيـــاتي بدا لي ان « انا » تنقسم . وقد وجدت اعذاراً مقنعة واخذت اهمس بها لنفسي . وفجـأة برزت « انا » اخرى اخذت ترد على حججي . وقضيت ساعات كاملة في غرفتي لاجد اذا كان للخوف والعداء ، اللذين توحي بهما آن إليّ ، اسبابهما ام اذا لم اكن سوى فتاة انانية مفسودة تتمتع بحرية خاطئة .

وفي هذه الاثناء كنت ازداد هزالاً يوماً بعد يوم . وكان عملي ينحصر بالنوم على الشاطىء وتناول الطعام . وكنت احتفظ بصمت قلق يربكها . ورحت اراقب آن بلا توقف واقول لنفسي وانا اتناول الطعام :

« هذه الحركة التي وجهتها اليه اليست حبا ، من النوع الذي لن يعرف مثله ؟ وكيف انقم عليها بعد هذه الابتسامة النامّة عن القلق ؟ »

وفجأة اسمعها تقول :

– عندما نعود الى باريس يا ريمون ...

وهنا تصدمني فكرة انها ستشاركنا حياتنا وتحشر نفسها فيها ، واقول لنفسي :

« انها باردة ونحن حاران . انها متسلطه ونحن مستقلان . انها لا تكترث بالناس بينما نعجب بهم . انها متحفظة ونحن مرحان . اننا وحدنا حيّان وسوف تتسلل بيننا بطمأنينتها وستستمد الحرارة منا . وستسلبنا كل شيء كالأفعى الجميلة . »

واخذت اردد لنفسي : « افعى جميلة ... افعى جميلة ! »

ومدت إليّ يدها بالخبز وفجأة افقت فصحت بنفسي :

« ولكنك مجنونة يا سيسيل . هذه آن ، آن الذكية ، التي اعتنت بك . ان برودها شكل من اشكال حياتها . اما عدم اكتراثها فأنه يحميها من الوف الصغائر ، انه دليل النبل » .

افعى جميلة .. وشعرت بنفسي امتقع خجلاً . واخذت انظر اليها واتوسل اليها بيني وبين نفسي ، ان تسامحني . وكانت احياناً

تفاجىء هذه النظرات فتظهر الدهشة على وجهها وتقطع جملتها . وتأخذ تسعى بنظراتها الى ابي ، فيجيب عليها بنظرات اعجاب او رغبة ولا يبدو عليه انه يفهم سبب هذا القلق . وهكذا افلحت شيئا فشيئا في جعل الجو خانقا ، وكنت اكره نفسي لذلك ..

كان ابي يتألم بقدر ما كان بامكانه ان يتألم ، اي قليلاً ، اذ انه كان مجنونا بآن . وفي احد الايام ، فيما كنت مستلقية على الشاطىء بعد حمام الصباح ، جلس بجانبي واخذ ينظر اليّ . وشعرت بنظراته تثقل عليّ . وكنت اوشك ان انهض واقترح عليه النزول الى الماء عندما وضع يده على رأسي وقال بلهجة قلقة :

ـ آن ، تعالي انظري الى هذه الجرادة كم هزلت . اذا كان هذا من تأثير العمل فيجب ان تتوقف .

كان يعتقد ، ولا شك ، بانه يدبر كل شيء وكان هذا ممكنا قبل عشرة ايام . ولكني وصلت الى ابعد من هذا في التعقيد فلم تعد ساعات العمل بعد الظهر تزعجني ، اذ اني لم افتح كتابا منذ برغسن ..

اقتربت آن . وبقيت مستلقية على الرمل وانا متنبهة لوقع خطاها وجلست في الجهة الاولى وهمست :

ـ صحيح ان هذا يؤذيها . وبعد كان يكفيها ان تعمل فعلاً بدلاً من الدوران في غرفتها .

استدرت واخذت انظر اليها . كيف عرفت اني لم اكن اعمل ؟ لعلها ادركت حتى افكاري ، اذ انها لا تعجز عن شيء .

وافزعتني هذه الفكرة فقلت محتجة :
– انني لا ادور في غرفتي .
وسألني ابي :
– أتفتقدين ذاك الفتى ؟
– لا !
كنت كاذبة قليلاً . ولكن الوقت لم يتسع لي ، في الواقع ، لأفكر بسيريل .
واضاف ابي :
– ومع ذلك فان صحتك ليست على مايرام . آن ، أترينها ؟ انها تشبه الدجاجة التي افرغت ووضعت في الشمس لتحمر .
وقالت آن :
– يا صغيرتي سيسيل ، ابذلي مجهوداً. اعملي قليلاً وكلي كثيراً ان هذا الامتحان هام ..
وقاطعتها قائلة :
– لا يهمني الامتحان ! أتفهمين ؟ لا يهمني !
واخذت احدق بها بقوة لتـــدرك ان الامر اخطر من اي امتحان . وكان عليها ان تقول لي : « اذن ماذا هنالك ؟ » وان تلاحقني بالاسئلة وتجبرني على اخبارهـا بكل شيء . وعند ذاك ستقنعني وتقرر ماتريد ، وتطهرني من هذه الاحساسات العدائية . ولكنها ظلت تنظر اليّ بانتباه ورأيت اللوم ظاهراً في عينيهـا الزرقاوين. وادركت انها لن تفكر ابداً باستجوابي لان هذا لن يخطر لها ولانها تعتقد بأن هذا لا يجوز .

ألقيت بنفسي بعنف على الرمل ، وضغطت بخـــدي على تلك الحرارة الناعمة وتنهدت وانا ارتجف قليلاً . ووضعت آن يدها على عنقي وجمّدتني لحظة حتى يهدأ اضطرابي وقالت :

– لا تخلقي المشاكل في حياتك . لقد اصبحت ، انت التي لم تعرفي غير المرح والحركة والابتعاد عن التفكير ، مفكرة حزينة . ان هذه الشخصية لا تليق بك .

واجبت :

– انني اعرف ذلك . انني المخلوق الصغير الصحيـــح الجسم الذي لا يعرف غير المرح والغباوة .

وقالت :

– هيا لتناول طعام الغداء .

كان ابي قد ابتعد لكرهـه هذا النوع من المناقشات . وفي الطريق امسك بيدي واحتفظ بها بيده . كانت يداً خشنة مشجعة : لقـــد مسحت دموعي عند اولى لوعاتي الغراميـة وامسكت بيدي في لحظات الطمأنينة والسعادة الكاملة ، وضغطت عليهـا خفية بين الضحكات العالية . هذه اليد على مقود السيارة او على المفاتيح ، في الليل ، تبحث عبثاً عن ثقب القفل ، هذه اليد عـلى كتف امرأة او لفائف تبغ ، هذه اليد لم تعد تستطيـع شيئاً لأجلي .

وشددت بقوة عليها ، فالتفت نحوي وابتسم .

الفصل الثاني

مرّ يومان تعبت فيهما من الدوران في غرفتي . لم اكن استطيع التخلص من هذه الفكرة : سوف تقضي آن على حياتنا . ولم اسع للقاء سيريل ، الذي كان قادراً على طمأنتي واشاعة السعادة في قلبي ، فلم اكن اشعر برغبة في ذلك . ورحت اتعمد طرح اسئلة لا جواب لها على نفسي وتذكر الايام الماضية والخوف من الايام المقبلة .

كان الحر شديداً ، ورغم اغلاق مصاريع النوافذ الخشبية فان الجو ظل ثقيلاً . وبقيت مستلقية على سريري وانا احدق بالسقف واتحرك بين دقيقة واخرى ، باحثة عن قطعة باردة من فراشي . ووضعت عدداً من الاسطوانات الهادئة على « البيك آب » ورحت ادخن بكثرة : كنت حزينة تائهة .

وبعد الظهر ، قرعت الخادمة باب غرفتي وقالت بلهجة غامضة : « يوجد شخص تحت » . وخطر لي فوراً انه سيريل ،

فنزلت ولكنني وجدت السا . واسرعت تضغط على يدي وتقول :

– جئت آخذ حقائبي . لقد ابتاع جوان لي بعض الفساتين ولكنها لا تكفي .

وتساءلت لحظة من يكون جوان هذا ثم تركت هذه الفكرة ، فقد سرني لقاء السا . ولما قلت لها هذا اكدت لي اننا كنا دائماً على وفاق لان لدينا نقاطاً مشتركة .

اقترحت عليها ان نصعد الى غرفتي حتى لا تقابل ابي وآن . وعندما ذكرت ابي لم تستطع ان تمنع حركة من رأسها ، وهذا ما جعلني اظن انها لا تزال تحبه .. رغم جوان وفساتينه .

وفي غرفتي اصغيت اليها تتحدث عن الحياة الساحرة التي قضتها على الشاطىء . وشعرت بأن أفكاراً غريبة تولد في نفسي ، وبأن جزءاً منها مستوحى من وجود السا .

وصمتت اخيراً ومشت بضع خطوات في الغرفة وسألتني ، دون ان تلتفت « اذا كان ريمون سعيداً » . وفجأة اصطخبت في رأسي مجموعة من الخطط والمشاريع . وبذات اللحظة عرفت ما عليّ ان اقوله لها :

– « سعيد » ، هذه مبالغة ! فآن لا تدعه يعتقد بشيء آخر . انها بارعة جداً .

وتنهدت إلسا وقالت :

– جداً !

– لن يخطر لك ما اقنعته بأن يفعل ... سوف تتزوجه .

وادارت نحوي وجهاً مكفهراً وهتفت :

– تتزوجه ؟ هل يريد ريمون ان يتزوج ؟

– اجل . ان ريمون يريد ان يتزوج .

وشعرت برغبة قوية في الضحك . واخذت يداي ترتجفان . وبدا الذهول على إلسا كاني ضربتها على رأسها . وكان عليّ الا ادعها تفكر وتستنتج انه لا يستطيع قضاء حياته مع العشيقات وان عليه ان يتزوج يوماً . وانحنيت نحوها وخفضت صوتي فجأة لاؤثر بها وقلت :

– يجب الا يحدث هذا يا السا . انه يتألم . ليس هذا الأمر ممكناً . انك تدركين ذلك جيداً .

واجابت :

– اجل .

واضفت :

– كنت انتظرك . انك وحدك قادرة على مقارعة آن . انك وحدك تملكين السلاح الكافي .

وكان لديها كل الاستعداد لتصديقي، ولكنها اعترضت قائلة :

– ولكنه يحبها ولا شك ، طالما انه سيتزوجها .

واجبتها بلطف :

– انك تعرفين انه يحبك انت . لا تحاولي التظاهر بانك تجهلين ذلك .

ورأيت اجفانها ترف وهي تستدير لتخفي اللذة والأمل اللذين خلقتهما لها . كنت اتصرف بسرعة وانا مدركة تماماً ما عليّ ان اقوله لها . قلت :

ـ لقد حدثته عن اتزان المنزل بالزواج وعن الاخلاق ، واقنعته ...

كنت اشعر بوطأة كلامي اذ انه كان يعبر عن مشاعري الخاصة بشكل بدائي خشن .

واضفت :

ـ اذا تم عقد زواجها قضي علينا نحن الثلاثة يا السا . علينا ان ندافع عن ابي ، انه طفل كبير .. طفل كبير ..

واخذت اردد « طفل كبير » بقوة حتى بدت الشفقة في عيني السا . واكملت حديثي بلهجة تمثيلية :

ـ ساعديني يا السا . انني اطلب منك هذا لأجلك ولأجل ابي ولأجل حبكما ...

وسألتني السا :

ـ ولكن ماذا استطيع ان افعل ؟ يبدو لي هذا مستحيلا

واجبتها باللهجة التي يسمونها محطمة :

ـ اذا كنت تعتقدين ذلك مستحيلاً فلنعدل عنه .

وهمست السا :

ـ يا لها من ساقطة !

ـ هذا هو الوصف اللائق بها .

وبدا على السا انها تعود الى الحياة . لقد هُجرت ، وستري تلك الدساسة ما تستطيع ان تفعله ، هي ، السا ماكنبورغ . ثم ان ابي يحبها . انها واثقة بذلك . وهي نفسها لم تنس جاذبية ريمون .

ـ السا ، اذهبي من قبلي الى سيريل واطلبي منه

ايواءك . سيتدبر امره مع والدته . قولي له اني سأذهب للقائه صباح غد ، وسنبحث الأمر نحن الثلاثة .

وعندما وصلنا الى الباب اضفت مازحة :

– انك تدافعين عن مصيرك يا السا .

ووافقت على قولي بجد كأنها لا تملك عشرين مصيراً ، بعدد الرجال الذين ينفقون عليها . واخذت انظر اليها تنصرف تحت الشمس واعطيت ابي اسبوعاً فقط لكي يشتهيها ثانية .

كانت الساعة الثالثة والنصف ، ولا شك انه نائم ، بهذه اللحظة ، بين ذراعي آن ... واخذت ارسم الخطط بسرعة ودون توقف ، وانا اسير في غرفتي فأذهب الى النافذة القي نظرة على البحر الهادىء واعود الى الباب . كنت احسب واستنتج واقضي على الاعتراضات بالتدريج . وشعرت بنفسي حاذقة خطرة ، وانضم ، الى موجة القرف التي انتابتني ضد نفسي منذ بدأت حديثي مع السا ، شعور بالكبرياء والوحدة .

هل انا بحاجة لأن اقول ان كل هذا انهار في ساعة الاستحمام ؟ لقد اخذت ارتجف ندماً امام آن ولم اكن اعرف ماذا عليّ ان افعل لأكفر عن ذنبي . حملت حقيبتها واسرعت افتح لها برنسها عند خروجها من الماء واحطتها بالعناية والكلمات اللطيفة . وقد ادهشها هذا التبدل السريع ، بعد الصمت الذي لزمته في الايام الاخيرة . وسر هذا ابي بينما اخذت آن تشكرني بابتسامة وتجيبني بمرح . وتذكرت : « يا لها من ساقطة ! – هذا هو الوصف اللائق بها . » كيف قلت هذا عنها ، وقبلت حماقات السا ؟

سوف انصحها غـــداً بالرحيل واقر لها بأني اخطأت ، وستعود حياتنا الى سابق عهدها ، كما اني سأتقدم الى الامتحان ! لا شك ان البكالوريا ضرورية .

– أليس كذلك ؟

كنت اكلم آن .

– أليست البكالوريا ضرورية ؟

نظرت اليّ وانفجرت ضاحكة . وشاركتها الضحك وقد سرني ان اراها مرحة . وقالت :

– انك غريبة الاطوار .

صحيح اني كنت غريبـــة الاطوار ، ولو عرفت ما كنت انوي عمله لازداد استغرابها لاطواري . وشعرت برغبة شديدة في ان احدثها به لترى الى اي حد بلغت بي غرابة الاطوار . فأقول لها مثلاً :

« تصوري اني جعلت السا تشترك في المهزلة : ستتظاهر بانها مغرمة بسيريل فتقيم بمنزله ونراهما يمران في زورقـــه ونقابلهما في الغابة وعلى الشاطىء . لقد عادت السا جميلة كالسابق . صحيح انها ليست بجمالك ولكن لها جمالاً يجعـــل الرجال يلتفتون عندما يمرون بها . وما كان ابي سيتحمل ذلك طويلاً فلم يتحمل ، في حياته ، رؤية امرأة ، امتلكها ، تتعلق بغيره بسرعة ، وخاصة برجل اصغر منه سناً . انك تدركين يا آن انـــه كان سيشتهيها بسرعة رغم حبه لك . وكانت السا ستفعل ، حسب تعلماتي ، كل ما عليها عمله . وسيأتي يوم يخونك فيه فلا تستطيعين تحمل ذلك ،

أليس كذلك ؟ اذ انك لست من اللواتي يقبلن بالمشاركة، وعندها ترحلين ، وهذا ما كنت اريد . انني حمقاء ، لقد حنقت عليك بسبب برغسن والحر . كنت اتخيل ... ان هذا مضحك الى حد اني لا اجرؤ على التحدث اليك به . كنت ، بسبب البكالوريا ، سأسيء الى علاقتك بنا ، انت صديقة امي وصديقتنا . مع ان البكالوريا ضرورية أليس كذلك ؟ »

— أليس كذلك ؟

وسألتني آن :

— ماذا ؟ ان البكالوريا ضرورية ؟

— اجل .

وبعد ، يحسن بي الا اقول لها شيئاً ، لانها لن تفهمني . كانت هناك امور لا تفهمها . وقفزت الى الماء ألحق بأبي وأتعارك معه . وعدت فوجدت لذة اللعب والحياء والضمير المرتاح . سأبدل غرفتي غداً وسأقيم في « التتخيتة » مع كتبي المدرسية . ولكنني لن احمل كتب « برغسن » ! وسأقضي ساعتين كل يوم وحيدة تحيط بي رائحة الحبر والورق . وتخيلت نفسي وقد نجحت في تشرين الاول وتراءت لي ضحكة ابي واستحسان آن، والشهادة . سأصبح ذكية ومثقفة مثل آن . .

الفصل الثالث

شعرت ، وانا متجهة الى دارة سيريل في الغد ، باني اقل ثقة بنفسي مما كنت . وكنت ، للاحتفال بشفائي ، قد اكثرت من تناول الخمر على العشاء . وشرحت لابي اني سأعد ليسانس الآداب وساعاشر العلماء ، واني ارمي ان اصبح شهيرة ، وان عليه ان يجند جميع وسائل الدعاية ليعرفني الى الناس . وتبادلنا افكاراً خيالية وارتفع ضحكنا عالياً وشاركتنا آن الضحك ، ولكنها كانت تمتنع عن الضحك عندما يتخطى حديثي حدود اللياقة . اخيراً ارقدتني في سريري . وقد شكرتها بحرارة وسألتها ما الذي استطيع عمله بدونها . وفيما كانت آن تنحني فوقي اغفيت .

في الصباح ، اتجهت نحو غابة الصنوبر وانا لا اعير البحر وطيوره اي اهتمام . ووجدت سيريل عند مدخل الحديقـــة . وقفز اليّ وضمني بقوة الى صدره وهو يهمس لاهثاً :

– يا حبيبتي ، لقد امضني القلق ... قضيت فترة طويلة ...

كنت اجهل ما تفعلين واذا كانت هذه المرأة تجعلك تعيسة ... لم اكن ادري ان تعاستي تبلغ هذا الحد ... كنت اقضي بعد ظهر جميع الايام امام الخليج.. لم اكن اعتقد باني احبك بهذه القوة...

واجبته :

– ولا انا .

واقر بان هذا ادهشني واثر بي. وشعرت بالاسف لعجزي عن الاعراب له عن مبلغ تأثري .

قال :

– كم انت ممتقعة ! ساعنى بك ، بعد الآن ، ولن ادع احداً يسيء معاملتك .

وسألت سيريل عما قالته والدته فاجاب :

– لقد قدمت السا اليها على انها صديقة يتيمة . وبعد فانها لطيفة . لقد روت لي كل شيء . غريب كم يخفي هذا الوجه النبيل دما وخداعا .

قلت بصوت ضعيف :

– لقد بالغت إلسا كثيراً . وقد اردت ان اقول لها ...

وهنا قاطعني سيريل :

– وانا الآخر لدي ما اقوله لك. اريد الزواج بك ياسيسيل.

وانتابني الفزع لحظة . يجب ان افعل او اقول شيئا ...

واضاف وهو يقبل شعري :

– انني احبك . سأتخلى من دراسة الحقوق فان عمي يعرض عليّ عملاً . لقد بلغت السادسة والعشرين ولم اعد طفلاً . انني جـــاد

بقولي . فما رأيك ؟

واخذت ابحث عن جملة جميلة تحمل معنيين . لم اكن اريد ان اتزوجه. كنت احبه ولكنني لم ارغب يوما بالزواج به. لم اكن اريد ان اتزوج باحد ، فقد كنت تعبة .

وتمتمت :

– هذا مستحيل . ان ابي ...

ولكن سيريل قاطعني :

– ساتكفل بابيك .

واضفت :

– لن تقبل آن . انها ما زالت تعتبرني طفلة . واذا رفضت فان ابي سيرفض ايضا . انني تعبة يا سيريل ، فقد انهكتني هذه الانفعالات . لنجلس . هذه السا .

اجلستني السا وهي تحيطني بالعناية كما لو كنت خارجة من السجن وسألتني .

– كيف حال ريمون ؟ هل علم باني جئت ؟

وظهرت على وجهها ابتسامة سعيدة كابتسامة الذي صفح وهو يأمل . ولم اكن استطيع ان اقول لها ان ابي نسيها ، واقول له اني لا اريد الزواج به .

اغمضت عيني . وذهب سيريل يأتي بالقهوة . واخذت السا تتكلم بكثرة . كانت تثق بي . وبعد ان شربنا القهوة قالت :

– لقد بحثت طويلاً فلم اجد حلاً .

وقال سيريل :

– لا يوجد اي حل . انها قضية سيطرة ولا حيلة في هذا .

وقلت بدوري :

– هناك حل . ان خيالكما ضيق .

وشعرت بالغرور وانا ارى اهتمامهما بكلامي . كانا يكبرانني بعشر سنين ومع ذلك لم تخطر لهما اية فكرة . وقلت :

– انها قضية فراسة .

وتكلمت طويلاً وشرحت لهما خطتي ، وقابلاني بذات الاعتراضات التي قابلت بها نفسي في الامس ، وشعرت بلذة كبيرة وانا اقضي عليها . وتحمست وانا احاول اقناعهما ، وبرهنت لهما ان هـــذا ممكن ، وبقي عليّ ان اقنعهما بالا يفعلا ذلك ولكني لم اجد حججا منطقية .

وقال سيريل :

– انني لا احب هذه المؤامرات ، ولكنني ساتبناها اذا كانت الوسيلة الوحيدة للزواج بك .

وقلت :

– ليس الامر خطأ آن تماماً .

وقالت السا :

– انك تعرفين انها اذا بقيت سوف تجعلك تتزوجين من تشاء .

ربما كان هذا صحيحا . وتراءت لي آن وهي تقدم لي ، يوم بلوغي العشرين ، شابا يحمل الليسانس ، ذكياً ، متزناً ، مخلصاً ينتظره مستقبل باهر . واخذت اضحك .

وقال سيريل :

– ارجوك ، لا تضحكي . قولي انك ستشعرين بالغيرة عندما اتظاهر بحب السا . كيف خطر لك هذا ؟ هل تحبينني ؟

كان يتكلم بصوت خافت . وابتعدت السا لتتركنا نتكلم بحرية واخذت انظر الى وجه سيريل الاسمر وعينيه الداكنتين . انه يحبني ، وقد اوحى لي هذا بشعور غريب . واقترب وجهه مني حتى مست شفتاه شفتيّ . وبقيت جالسة مفتوحة العينين . وسرت رجفة خفيفة في شفتيه اللتين ما لبثتا ان انفرجتا وازداد ضغطهما . كانت قبلته بارعة جداً .. وأدركت اني مخلوقة لتقبيل فتى في الشمس اكثر مني لاعداد الليسانس . وانفصلت عنه وأنا الهث بينما قال :

– سيسيل ، يجب ان نعيش معاً . سأقوم بالمؤامرة مع السا .

واخذت اتساءل اذا كانت حساباتي صحيحة . كنت روح المهزلة ومخرجتها . وكان باستطاعتي ان اوقفها .

وقال سيريل :

– ان لديك افكاراً غريبة .

نظرت اليه واذا بي اجده جميلاً فاتناً فلم اشعر إلا وانا اهمس بأذنه :

– قبلني ، قبلني بسرعة .

وهكذا اطلقت المهزلة، بالرغم مني، بدافع الكسل والفضول . وتمر بي لحظات افضل فيها لو اني فعلت هذا عمداً بدافع الحقد حتى استطيع اتهام نفسي، وليس الكسل والشمس وقبلات سيريل .

بعد ساعة ، غادرت المتآمرين وانا اشعر بالضيق . وبقي لدي بعض الحجج لطمأنتي : قد تكون خطتي ضعيفة او قد يدفع ابي حبه لآن الى حد الاخلاص لها . ثم ان سيريل والسا عاجزان عن العمل بدوني . وسأعثر على عذر لايقاف اللعبة اذا بدا على ابي انه يتأثر بها . ولا شك بان التجربة ستكون مسلية ، وستظهر صحة تقديراتي النفسانية او خطأها .

وفوق هذا كان سيريل يحبني ويريد الزواج بي . واذا كان يستطيع الانتظار سنة او سنتين ، حتى ابلغ سن الرشد ، فانني سأقبل . وتخيلت نفسي اعيش مع سيريل وانام قربه ولا اغادره ابداً . سنذهب كل يوم احد ، لتناول الغداء مع آن وابي . وقد ترافقنا والدة سيريل .

وجدت آن على السطح وهي تستعد للحاق بابي على الشاطىء . وسألتها عما كانت تنوي قوله لي قبل ان انام فرفضت ان تجيبني وهي تضحك ، مدعية بأن هذا سيؤلمني . ووجدنا ابي خارجا من الماء بكتفيه العريضتين وبدا لي بديعاً .

سبحت مع آن قليلاً ثم تمددنا ، نحن الثلاثة على صدورنا ، انا في الوسط وهما على جانبيّ .

هنا بدا الزورق في طرف الخليج ناشراً اشرعته . ورآه ابي قبلنا فقال ضاحكا :

— لم يعد سيريل يتحمل . أنسامحه يا آن ؟ وبعد ، ان هـــذا الفتى لطيف .

رفعت رأسي وقد شعرت بالخطر ، بينما اضاف ابي :

ـ ولكن ماذا يفعل ؟ انه يدور حول الخليج ، ولكنه ليس وحيداً ...

ورفعت آن رأسها . كان الزورق يوشك ان يمر امامنا . وتبينت وجه سيريل ورجوته ، بداخل نفسي ، ان ينصرف . وهتف ابي :

ـ ولكن ... ولكن هذه السا ! ماذا تفعل هناك ؟

والتفت الى آن قائلاً :

ـ ان هذه الفتاة مدهشة ! لا شك انها سحرت هـذا الفتى المسكين وجعلت امه تتبناها .

ولكن آن لم تكن تصغي اليه . كانت تنظر اليّ . وصمدت لنظرتها ثم ارحت وجهي على الرمل وقد اعتراني الخجل . ومدت يدها ووضعتها على عنقي وهمست :

ـ انظري اليّ . هل انت حاقدة عليّ ؟

فتحت عينيّ : كان في نظرتها قلق وبعض التوسل . كانت هذه اول مرة تنظر اليّ فيها كما ينظر النـاس الى مخلوق حساس مفكر ، ولم تفعل هذا الا في اليوم الذي ..

ادرت رأسي بعنف الى ابي لأتخلص من هذه اليد ، وعادت آن تهمس :

ـ يا صغيرتي المسكينة ان الخطأ خطأي فما كان علي ان اكون بهذه الصرامة . لم اقصد ايلامك ، أتصدقين هذا ؟

راحت تداعب شعري وعنقي بحنان . ولم اتحرك ، فقدانتابني

ذات الشعور الذي احس به عنـــدما تجرف موجة الرمل تحتي .
وشعرت بالرغبة في ان اوقف المهزلة واعهد بجيـــاني اليها حتى النهاية ..

اغمضت عينيّ وقد شعرت بان قلبي توقف عن الخفقان .

الفصل الرابـع

كانت الدهشة كل ما ظهر على أبي ، وقد اخبرته الخادمة بان السا جاءت لأخذ حقيبتها وبانها انصرفت فور ذلك ،ولست ادري لماذا لم تخبره باجتماعنا .

اخذ ابي وآن ، وقد امضّهما الندم ، يحيطانني بعنـايةولطف ما لبثت ان وجدتهما لذيذين . وبعد ، حتى لو كان الذنب ذنبي ، فانني كنت اتألم لرؤية سيريل والسا متخاصرين وعليهما امارات التفاهم التام . لم اعـد استطيـع التجول بزورق سيريل ولكنني اصبحت ارى السا مكاني والريح تتلاعب بشعرهـــا ، كما كانت تتلاعب بشعري . .

لم اجد اية صعوبة في التظاهر بالعبوس عندما نقابلهما ، اذ اننا كنا نقابلهما في كل مـــكان . في غابة الصنوبر وفي القرية وعلى الطريق . وكانت آن تلتفت اليّ بسرعة فتحدثني بموضوع آخر وتضع يدها على كتفي لتواسيني . وتأكد لي اني لو كنت حقاً

متألمة لما وجدت من يساعدني اكثر منها .

وتركت الامور تسير على هواها بدون قلق اذ اني لم ألاحظ على ابي اي مظهر من مظاهر الغيرة ، وكان هذا يثبت لي تعلقه بآن ، ويؤلمني قليلاً لاظهاره ان خططي فاشلة . وفي احد الايام كنا عائدين من مركز البريد فالتقينا بالسا . ولم يبد عليها انها رأتنا ، واستدار ابي يلاحقها بنظره واطلق صفيراً قصيراً ، ثم قال :

– لقد ازدادت السا جمالاً .

واجبته :

– ان الحب يفيدها .

– يبدو انك استسلمت للأمر الواقع ..

قلت :

– وماذا تريدني ان افعل ؟ انهما في سن واحدة ، وهذا طبيعي !

– لولا وجود آن لما كان هذا طبيعياً ابداً .

كان يغلي غضباً . واضاف :

– هل تظنين ان فتى يستطيع سلبي امرأة اذا لم اوافق ؟

وأجبته :

– ان للعمر حقه !

وهز كتفيه ولم يجب . وفي اثناء العودة لاحظت انه مشغول البال . ربما كان يفكر بان السا وسيريل شابان فعلاً ، وبانه ، بزواجه بامرأة من سنه ، يخرج من فئة الرجال الذين لا تاريخ

ميلاد لهم . وهزني شعور بالفوز . وعندما رأيت على اطراف عيني آن بعض التجاعيد حنقت على نفسي . ولكن كان سهلاً عليّ ان اتبع نزواتي ثم اندم ..

ومر اسبوع ، ولا شك بان سيريل والسا ينتظرانني كل يوم ، لجهلهما تطورات القضية . ولم اكن اجرؤ على الذهاب اليهما خوفاً من ان يدفعاني للايحاء اليهما بأفكار جديدة . وبعد فقد كنت اصعد بعد الظهر الى غرفتي لكي « اعمل » . والواقع اني لم اكن افعل شيئاً . فقد وجدت كتاب « يوغا » وانكببت عليه بكل نشاط وانا اكبت ، بين الفينة والفينة ، موجة الضحك التي تنتابني ، خوفاً من ان تسمعني آن .

وفي احد الايام لففت نفسي بمناشف استحمام لأصبح شبيهة بالهنود ، ووضعت قدمي اليمنى على فخذي الأيسر واخذت احدّق بقوة بنفسي في المرآة ، وانا آمل بان اصل الى سمو « اليوغي » . وفجأة قرع الباب ، وظننت انها الخادمة . ولما كانت لا تهتم بشيء فقد رفعت صوتي ادعوها للدخول .

ولكنها كانت آن . وجمدت لحظة على عتبة الباب ، وابتسمت قائلة :

ــ بماذا تلعبين ؟

وأجبتها :

ــ « باليوغا » ولكنها ليست لعباً بل فلسفة هندية .

اقتربت آن من الطاولة واخذت كتابي . وساورني القلق . كان مفتوحا على الصفحة المائة ، وكانت الصفحات السابقة مغطاة

بملاحظات بخطي مثل « غير ممكنة التحقيق » او « متعبـــة » . والتفتت إليّ قائلة :

– انك دقيقة في اعمالك . ولكن ماذا حل بالدراسة التي قلت انك تعدينها عن « باسكال » ؟

وكنت قد ذكرت جملة لباسكال في اثناء الطعام وتظاهرت باني فكرت بها كثيراً . ولم اكتب كلمة بهذا الموضوع طبعا . بقيت جامـدة في مكاني . ونظرت آن إليّ ملياً وفهمت . وقالت بصوت جاف :

– اذا شئت ان تهملي عملك وتقومي بحركات جنونيـة امام مرآتك فهذا شأنك ! اما ان تكذبي على ابيك وعليّ فهـــذا لا يجوز . وبعد فقد ادهشني نشاطك الفكري المفاجىء ..

وخرجت وتركتني مذهولة في مناشـفي . لم افهم لماذا سمت هذا « كذبا » . لقد حدثتها عن الدراسـة لأسرها ولكن ها هي تفاجئني بازدرائها . وكنت قد اعتدت على موقفها الجديـد مني ولذا اثارني احتقارها الى آخر حد .

رميت المناشف عـــني وارتديت قميصا وسروالاً وخرجت راكضة . كانت الحرارة شديدة ورغم ذلك اخـــذت اركض تدفعني ثورة عنيفة من الغضب المختلط بالخجل .

وصلت اخيراً الى دارة سيريل فصعدت رأساً الى غرفتـه ، وكان قد دلني عليها يوم زرنا والدته . وفتحت الباب فاذا به راقد وقد اسند خده الى ذراعه .

ناديته بصوت خافت ففتح عينيـــه وقفز واقفاً عندما رآني

وهو يهتف :

ــ انت ؟ كيف جئت الى هنا ؟

اشرت اليه بألا يرفع صوته لان والدته ، اذا جاءت ووجدتني في غرفته ، ستظن ... وبعد ، من لا يظن ...

وشعرت فجأة بالفزع فاستدرت متجهة الى الباب ولكن سيريل صاح :

ــ الى اين تذهبين ؟ عودي ... سيريل !

وامسك بذراعي واحتجزني وهو يضحك . والتفت اليه فاذا به ممتقع اللون كما كنت انا ولا شك . واحاطني بذراعيه وجرني الى السرير . واخذت افكر : « كان لا بد ان يحدث هذا . كان لا بد ان يحدث هذا » ...

وتتابعت عليّ مراحـــل الحب العنيف : الخوف الذي يمهد الطريق للشهوة واللطف والثورة ، ثم ذلك الالم الشديد وفي اعقابه اللذة المنتصرة ...

... بقيت ساعة بجانب سيريل ، وانا مذهولة . لقد سمعت مراراً ان الحب شيء سهل . وقد وصفته بنفسي هكذا ، كما يصفه الجهلة الذين هم بسني ، وشعرت باني لن استطيع ابداً ان اتحدث عنه بهذا الاستهتار .

واخذ سيريل ، المستلقي بجـــانبي ، يتحدث عن الزواج بي والاحتفاظ بي بجانبه طول حياته . واقلقه صمتي ، فانتصبت جالسة ونظرت اليه ودعوته « عشيقي » . ثم قبلت الشريان النابض في عنقه وهمست : « سيريل ، حبيبي » .

ولما هممت بمغادرته سألني اذا كنت حانقة عليه . فضحكت .
كيف احنق عليه وقد اذاقني طعم السعادة ؟

عدت اجر قدميّ عبر غابة الصنوبر . وعندما اقتربت من المنزل وجدت آن جالسة على مقعد طويل تقرأ . وكنت قد اعددت كذبات مقنعة لابرغيابي ولكنها لم تلق عليّ اي سؤال . وجلست قربها بصمت وتذكرت اننا متخاصمتان . واغمضت عينيّ نصف اغماضة وانا احاول تهدئة انفاسي السريعة وارتجاف اصابعي . وتراءى لي جسم سيريل فازداد قرع قلبي .

اخذت لفافة واشعلت عود ثقاب سرعان ما انطفأ . واشعلت عوداً آخر بعناية ، لانه لم يكن هناك هواء لاطفائه بل ان يدي كانت ترتجف . ولكنه انطفأ عند ضغطه على لفافتي . واخذت عوداً ثالثا . وفجأة ، ودون ان ادري لماذا ، اصبحت لهذا العود اهمية حيوية بالنسبة اليّ . ربما لان آن اخذت تنظر اليّ بانتباه .

واختفى العالم من حولي ولم اعد ارى غير عود الثقاب واصبعي عليه والعلبة الرمادية ونظرة آن . واخذ قلبي يقرع بجنون فضغطت باصابعي على العود واشعلته . وفيما كنت ادنو بوجهي منه غطته لفافتي واطفأته .

تركت العلبة تسقط من يدي واغمضت عينيّ . وشعرت بثقل نظرة آن المتسائلة . وامتدت يداها ترفعان رأسي فشددت اجفاني خوفا من ان ترى نظرتي . واحسست بدموع الاعياء والارتباك تنساب على وجنتي .

وكأنما عدلت عن القاء اي سؤال ، فارخت يديها وتركتني ،

وبعد لحظة دست لفافة مشتعلة بين شفتي وعادت الى كتابها .

لقد اعطيت ،او حاولت ان اعطي ، هذه الحركة معنى رمزيا. ولكنني اليوم ، عندما افشل في اشعال لفافة ، اعود فاتخيل تلك اللحظة الغريبة ، تلك الهاوية بيني وبين حركاتي ووطأة نظرة آن والشعور بالفراغ الذي احاط بي ...

الفصل الخامس

لم يبق هذا الحادث بدون نتائج . كانت آن من الاشخاص الذين لا يتحملون التسويات . وقد اعتبرت حركة يديها حول وجهي تسوية . ولذا حنقت علي وجعلتني اشعر بهذا الحنق .

بعد ايام ، وفيما كنا نتناول طعام العشاء ، جرت بيننا مناقشة حادة حول فروض العطلة . وقد اغرقت في اظهار الاستهتار الى حد اغضب ابي ودفع آن الى اقفال باب غرفتي عليّ بالمفتاح . جرى كل هذا دون ان يرفع احدنا صوته .

لم اعرف بما فعلته آن . ولما شعرت بالظمأ وأردت فتح الباب ادركت اني سجينة . وانتابني الفزع ، فركضت الى النافذة ولكن الخروج منها كان مستحيلاً . واستدرت والقيت بنفسي على الباب فآلمت كتفي . وحاولت اغتصاب القفل وانا أشد على اسناني ، إذ اني لم أشأ ان اصرخ ليأتي من يفتح لي ، ولكني تركت فيه مقص أظافري . . .

وقفت في الغرفة جامدة ومتنبهة للهدوء الذي اخذ يشيع في نفسي مع انتظام افكاري . كانت هذه اول مرة اصطدم فيهـــا بالقسوة . واخذت اشعر بها تلتف حولي . وتمددت على سريري ورسمت خطة بعناية .

في الساعة السادسة جاء ابي يفتح لي . ونهضت آليا عنـــد دخوله . ونظر إليّ دون ان يضحك فابتسمت ابتسامة آلية ايضا . وقال :

ـ أتريدين ان نتحادث ؟

اجبت :

ـ عن أي شيء ؟ اننا كلانا نكره هذا النوع من المناقشات التي لا تؤدي الى نتيجة .

وبدا عليه الارتياح وقال :

ـ صحيح . على كل يجب ان تكوني لطيفة وصبورة مع آن .

وادهشني قوله : انا ، اكون صبورة مع آن ! انـه يعكس الوضع ويعتبر آن امرأة يفرضها على ابنته .

وقلت :

ـ لقد اسأت التصرف . وسأعتذر لآن .

ـ هل .. هل انت سعيدة ؟

ـ طبعاً . وبعـــد ، اذا استمر اصطدامي بآن فانني سأسرع بالزواج واحل المشكلة .

كنت اعرف ان هذا الحل سيؤلمه .. وقد اجاب بسرعة :

ـ ليس هذا موضوع بحث . هل تقبلين بهجري بهذه السرعة ؟

فلا نكون قد عشنا معاً سوى سنتين ..

آلمتني هذه الفكرة انا الاخرى . وتراءت لي اللحظات التي كنت اذهب فيها لابكي على صدره واحدثه عن السعادة المفقودة والعواطف الملتهبة .

اجبت :

ـ انني ابالغ . اننا نتفاهم انا وآن . ويكفي ان يتساهل كل منا قليلاً ...

وقاطعني قائلاً :

ـ طبعا ، طبعا .

ولا شك بأنه ادرك ان التساهل سيكون من جهتي فقط .

واضفت :

ـ انني اعرف تماما ان آن على صواب دائما . وان حياتها اكثر نجاحا من حياتنا ..

وحاول الاحتجاج ولكنني تابعت الكلام :

ـ بعد شهر او شهرين اكون قد تشربت بجميع آراء آن . وهكذا لن نصطدم بعد الآن . ولكن هذا يحتاج الى بعض الصبر .

واجاب بصوت ضعيف :

ـ لا تبالغي . انني اقر باني جعلتك تعيشين حياة لا تناسب سنك او ... سني ولكنها لم تكن حياة تافهة او تعيسة ، وبعد ، فاننا لم نكن . تعيسين جداً خلال هاتين السنتين . ولا يجوز ان ننكر كل شيء ، لأن نظرة آن للحياة تختلف قليلاً عن نظرتنا .

واجبته باقتناع :

ـ لا يجوز ان ننكر هذا بل يجب ان نتخلى عنه .

ـ طبعاً

ونزلنا معا فقدمت اعتذاري الى آن التي اجابتني ان هـــذا ليس ضروريا وان الحرارة ولا شك هي السبب في خصامنا.

ثم قابلني سيريل في غابة الصنوبر حسب اتفاقنا واخبرته بما عليه ان يفعل . وقد اصغى اليّ بخليط من الخوف والاعجاب ثم اخذني بين ذراعيه ولكن الوقت كان قد تأخر وتحتم عليّ ان اعود الى المنزل . وقد ادهشتني الصعوبة التي لقيتها في الابتعاد عنه !

الفصل السادس

اصطحبت ابي ، في الغد ، للنزهة على الطريق ، وكنا نتحدث بمرح عن قضايا تافهة . وفي اثناء عودتنا الى الدارة اقترحت عليه ان نخترق غابة الصنوبر .

كانت الساعة العاشرة والنصف ، اي اني لم اتأخر عن الموعد! وقد سار ابي امامي لضيق الطريق ، وعندما وقف ادركت انه رآهما . واقتربت منه فوجدت سيريل وإلسا متمددين على اشواك الصنوبر وقد غرقا في النوم وعلى وجهيهما دلائل السعادة التامة .

كنت قد اوصيتهما بتمثيل هذا الدور ، ولكنني عندما رأيتهما شعرت بشيء يتمزق في صـــدري . أيمنع حب السا لأبي وحب سيريل لي ، ان يكونا جميلين يقرّب شبابهما منهما ؟

نظرت الى ابي فوجدته يحـــدق بهما وقد امتقع وجهه ، وامسكت بذراعه وقلت :

ـ دعنا لا نوقظهما ، لننصرف .

والقى نظرة اخيرة على السا ثم استدار وسار بسرعة ، وهو يردد :

ـ السافلة ! السافلة !

ـ لماذا تقول هذا ؟ أليست حرة ؟

ـ لا اقصد هذا . هل اعجبك مشهد ميريل بين ذراعيها؟

ـ لم اعد احبه .

وصاح غاضباً :

ـ وانا الآخر لم اعد احب إلسا . ولكن تصرفها يؤلمني . لقد ... عشت معها . وهذا اسوأ بكثير ...

كنت اعرف ان هذا اسوأ واكثر ايلاما ! ولا شك بانه شعر بذات الرغبة التي شعرت بها وهي الانقضاض عليهما وتفريقهما واستعادة ملكه ، او ما كان ملكه .

قلت مؤنبة :

ـ اذا سمعتك آن ...

ـ ماذا ؟ اذا سمعتني آن؟لا شك بانها لن تفهم او انها ستشعر بصدمة ، وهذا طبيعي . ولكن انت ؟ انك ابنتي اليس كذلك؟ لم تعودي تفهمينني . هل صدمت انت الاخرى ؟

ـ انني لم اصدم . ولكن علينا ان نواجه الحقائق : ان ذاكرة إلسا قصيرة وسيريل يعجبها اي انك فقدتها ، خاصة بعد تصرفك حيالها ، وهو تصرف لا يغتفر .

وهتف ابي :

ـ اذا شئت ....

وسكت وقد افزعته فكرته . ولكنني اجبته ، كما لو كان طبيعياً ان نبحث حظه من النجاح في استعادة إلسا :

– لن تنجح .

واجاب ، وقد استعاد اتزانه :

– ولكني لا افكر بذلك .

– هذا طبيعي !

وهززت كتفي . وكانت هذه الهزة تعني :

« هذا مستحيل ايها المسكين ، انك مسحوب من المعركة . »

لم يحدثني باقي الطريق . وعندما وصلنا ضم آن بين ذراعيه وابقاها ملتصقة به وقد اغمض عينيه ، بينما تركته هي يفعل ، باسمة مستغربة . وخرجت من الغرفة واستندت الى حاجز الممر وانا ارتجف خجلاً .

في الساعة الثانية سمعت صفير سيريل فنزلت الى الشاطىء . وهناك استقللنا زورقه واتجهنا الى عرض البحر . كان البحر خاليا من الزوارق بسبب هذه الشمس المحرقة . وما كدنا نبتعد عن الشاطىء حتى انزل الشراع والتفت اليّ وقال :

– هذا الصباح ...

ولكنني قاطعته وانا الهث :

– اسكت ! آه ! اسكت !

ومددني بهدوء . كنا نسبح في العرق وقد اعترى الارتباك والعجلة حركاتنا ، بينما اخذ الزورق يتمايل تحتنا بانتظام . وأخذت انظر الى الشمس فوقي . وفجأة امتلأت اذناي بهمس سيريل وإذا

بالشمس تغادر مكانها وتنفجر وتسقـــط فوقي . اين كنت ؟ في قعر البحر ، في آخر الزمن ، في خضم اللذة .. ودعوت سيريـل بصوت عال ولكنه لم يجبني ، فلم يكن بحاجة لان يجيبني .

ثم انعشني الماء المالح . وأخذنا نضحك باسترخـــاء وامتنان متبادل . كان لدينا الشمس والبحر والضحك والحب . هل نعود فنجدها ، مثل ذاك الصيف ، وبمثـــل الجمال الذي اضفاه عليها الخوف والندم ؟

ومرت الايام . ونسيت قليلاً آن وأبي وإلسا . فقـد جعلني الحب اعيش في حلم وانا مفتوحـــة العينين . وسألني سيريل اذا كنت لا اخشى ان احمل منه . فأجبته اني اترك القرار له وبدا عليه انه وجـــد ذلك طبيعياً . فقد يكون سبب استسلامي له انه ما كان ليحملني تبعة شيء . وهكذا ، اذا حملت ، فسيكون هو المذنب . كان يأخذ على عاتقه ما لم استطع يوما تحمله ، وأعني التبعات .

في هذه الاثناء بدأ صبر إلسا ينفد . وأخذت تلاحقني بأسئلتها . وكنت اخشى ان افاجأ وأنا برفقتها او رفقة سيريـــل . وقد نجحت إلسا في ان تضع نفسها دائماً في طريق ابي .

ولم يبد على آن انها لاحظت انشغال ابي بالتفكير بالسا ، اذ انه كان يحيطها بحرارة اكثر من السابق . وقـد افزعني تصرفه لأني اعتبرت موقفه نتيجة لتأنيب ضميره . وكان المهم ان لايحدث شيء خلال ثلاثة اسابيع ، اذ سنعود ، عنـــد ذاك ، الى باريس

فتذهب إلسا في طريقها ويتزوج ابي وآن ، اذا كانا بعد مصممين على ذلك .

وفي باريس ، سأجد سيريل . وتخيلت غرفته وقطعة السماء التي سأراها من نافذتها وانا مستلقية ، بجانبه ، على السرير الضيق . .

الفصل السابع

بعد ايام ، تلقى والدي كلمة من احد اصدقائنا يحدد له موعدا في « سان رافايل » لتناول كأس معا . واخبرنا بالامر وقد سره ان يفلت قليلاً من هذه العزلة الاختيارية . وقمت بدوري بابلاغ إلسا وسيريل اننا سنكون في حانة الـ« سولاي » في الساعة السابعة وانهما اذا شاءا الحضور فسيجدانناهناك . وكانت إلسا ، لسوءالحظ ، تعرف ذلك الصديق ، فازدادت رغبتها في الذهـاب . وتوقعت متاعب وحاولت اقناعها بالعدول عن عزمها . ولكن عبثـاً . وقالت ببساطة :

ــ ان شارل ويب يعبدني . واذا رآني فسيدفـــع ريمون للعودة اليّ .

وفي الساعة السادسة بعد الظهر انطلقنا بسيارة آن . كنا نحن الثلاثة في المقعد الامامي خاضعين معا للذة السرعة والريح وربمـا لميتة واحدة .

التقينا بشارل ويب وزوجته في حانة الـ « سولاي ». كان ويب يعمل في الدعاية المسرحية بينما تهتم زوجته بانفاق المال الذي يربحه بسرعة وعلى شبان وسيمين. وقد ظل مدة طويلة عشيق السا.

اما زوجته فقد كانت شريرة. ولم تكن آن تعرفها ورأيت وجهها يتخذ بسرعة شكل الازدراء والسخرية الذي يتخذه عادة في المجتمعات العامة.

واخذ شارل ويب يتحدث بسرعة كالعادة وهو يلقي على آن نظرات مستفسرة. وبدا عليه انه يتساءل عما تفعله بصحبة ريمون وابنته. ومال ابي اليه واعلن فجأة:

— لدي نبأ لك يا صديقي. سنتزوج انا وآن، في الخامس من تشرين الاول.

نظر اليه ثم اليها وبدا عليه انه لم يفهم، بينما ظهر الامتعاض على زوجته فقد كانت تميل الى ابي. واخيراً صاح ويب:

— تهانئي الحارة.. ان هذه فكرة بديعة! يا سيدتي العزيزة، اذا كنت تتكفلين بهذا العربيد فأنت بديعة!.. يجب ان نحتفل بهذا النبأ السار.

وبدا الابتسام والارتياح على آن. وهنا تبدل وجه ويب وهتف:

— إلسا! يا الهي! هذه إلسا ماكنبورغ. انها لم ترني. أرأيت يا ريمون كم ازدادت هذه الفتاة جمالاً؟

واجاب ابي بسرور:

— أرأيت ذلك؟

ولاحظت آن لهجة ابي فادارت وجهها منه الي . وفيما كانت توشك ان تفتح فمها لتقول اي شيء قلت :

ـ آن ، ان اناقتك تجذب الانظـار . هناك رجل لايحول عينيه عنك .

وقد قلت هذا كمن يسر بامر الآخر ، اي بصوت مرتفع كفاية ليسمعه ابي . والتفت هذا الاخير بسرعـــة ورأى الرجل المذكور فقال وهو يمسك بيد آن :

ـ انني لا احب هذا ..

وقالت السيدة ويب بسخرية :

ـ كم هما لطيفان ! شارل ، كان عليك ألا تزعج هذين العاشقين وتكتفي بدعوة سيسيل الصغيرة فقط ..

واجبتها بدون مواربة :

ـ ما كانت سيسيل الصغيرة ستأتي .

ـ لماذا ؟ ألديك عشاق بين الصيادين ؟

كانت قد رأتني مرة احادث جابي سيارة « اوتوبيس » ومنذ ذلك الحين اخذت تدعوني « منحطة » .

وحاولت التظاهر بالمرح فقلت :

ـ طبعاً .

ـ وهل تصطادين كثيراً ؟

كانت ، فوق هذا ، تعتبر نفسها خفيفة الظل . وانتابني الغضب فاجبتها :

ـ اجل ، رغم انني لا اتعامل مع القوادين !

وخيم الصمت فجأة . ولكن صوت آن ارتفع قائلاً :
– ريمون ، أتريد ان تطلب قشة من الخادم ؟ انها ضرورية لتناول عصير البرتقال .
واخذ شارل ويب يتحدث عن المرطبات وراح ابي يحاول كتم موجة الضحك ، التي انتابته ، بالانشغال بكأسه ، بينما وجهت آن اليّ نظرات متوسلة . واخيراً قررنا تناول العشاء معاً .
اكثرت من تناول الخمر على العشاء . كنت اريد ان انسى مظاهر القلق ، التي تبدو على آن عندما تنظر الى ابي ، ودلائل الامتنان حين تلتفت نحوي .
بعد العشاء ذهبنا الى احدى حانات سان رفايل . وبعد وصولنا بقليل وصل سيريل وإلسا . ورآهما شارل ويب فقال :
– من هذا العاشق ؟ انه صغير السن .
التفتُّ الى آن . كانت تنظر الى السا بهدوء ولا مبالاة كما اعتادت النظر الى عارضات ازيائها . واعجبت بها لحظة لخلوها من الصغائر والغيرة . وبعد ، فاني لم اتصور انها قد تغار من السا . فقد كانت اجمل منها بمائة مرة . ولما كنت ثملة فقد قلت لها هذا . وحدقت بي بفضول وقالت :
– أصحيح انك تجدينني اجمل من السا ؟
– بدون اي شك .
– ان قولك مسر . ولكنك تكثرين من تناول الخمر . ألست حزينة لرؤية سيريل هناك ؟ على كل ، يبدو ان الملل ينتابه .
وقلت لها بمرح :

– انه عشيقي .
– انك ثملة حقاً . لحسن الحظ ان ساعة العودة قد حانت .
غادرنا ويب وزوجته وقاد ابي السيارة بينما مال رأسي على كتف آن .
واخذت افكر بأني افضلها على عائلة ويب وجميع الاشخاص الذين اعتدنا معاشرتهم .
وسأل ابي :
– أهي نائمة ؟
وأجابته آن :
– كالطفلة . لقد كان تصرفها لائقاً ما عدا اشارتها الفاضحة للقوادين ...
وأخذ ابي يضحك . وساد الصمت فترة . ثم عاد ابي يقول :
– انني احبك يا آن ولا احب غيرك . أتصدقين هذا ؟
– لا تكثر من تكرار هذا ، فانك تخيفني .
– اعطيني يدك .
وكدت انتصب واحتج :
« ليس وانت تقود على الشاطىء » .
ولكنني كنت ثملة . وكان عطر آن وهواء البحر الذي يداعب شعري ، والجرح الصغير الذي خلفه سيريل في كتفي في خلوتنا الغرامية ، اسباباً كافية لأن اشعر بالسعادة واسكت مستسلمة للنعاس .
النعاس ! من المؤكد ان السيدة ويب لا تجده في هذه اللحظة . ولا شك بأني سأستأجر ، انا الاخرى في سنها ، شباناً ليحبوني

مهما بلغ الثمن . ولكني لن ادع الغيرة تمتلكني كما كانت تغار من إلسا وآن .

واخذت اضحك بصمت . وتحركت كتف آن ثم سمعت صوتها يقول لي بلهجة آمرة :

– نامي !

فنمت ...

الفصل الثامن

استيقظت ، في الغد ، وانا اكاد لا اشعر باي تعب ، وكانت الشمس تنصب على سريري ، مثل كل صباح ، فتمددت على صدري معرضة ظهري العاري لأشعتها الدافئة . ولاحظت ، على ارض الغرفة ، ذبابة تتحرك بتردد .

تذكرت سهرة الليلة الماضية وكيف صارحت آن فيها بان سيريل عشيقي . واضحكني هذا . عندما يكون المرء ثملًا يقول الحقيقة ولكنه لا يجد من يصدقه .

وقرع الباب . فارتديت بسرعة سترة « البيجاما » وصحت :

ـ ادخل !

ودخلت آن وهي تحمل فنجانا . وقالت :

ـ لقد قدرت ان تكوني بحاجة لبعض القهوة . ألا تشعرين بانزعاج ؟

ـ قليلًا . لقد اسرفت في تناول الخمر امس .

– كما تفعلين كلما اصطحبك احد للسهرة. ولكن يجب ان اقر بانك كنت مصدر تسلية لي اذ ان السهرة كانت طويلة .

وصمتت آن لحظة ثم قالت :

– سيسيل ، هل تحبين صحبة هذا النوع من النـاس ؟ عائلة ويب او دوبوي مثلًا ؟

– ان تصرفاتهم مزعجة جداً ، ولكنهم مضحكون .

واخذت تنظر هي الاخرى الى حركات الذبابة على الارض. وخطر لي ان هذه مشلولة ولا شك .

ثم قالت :

– انك لا تدركين مدى تفاهة احاديثهم . ألا تملّين قصص العقود والفتيات والسهرات ؟

واجبت :

– لقد قضيت عشر سنين في دير . ولما كان هؤلاء الناس بدون اخلاق فانهم ما زالوا يجذبونني .

ولم اجرؤ على القول انهم يعجبونني .

ثم قلت فجأة :

– آن ، هل تعتقدين باني ذكية ؟

وادهشها سؤالي المفاجىء فقالت وهي تضحك :

– طبعا ! لماذا تسأليني ؟

– لو كنت غبية لما تغيّر جوابك . انك تجعلينني اشعر بانك تتفوّقين عليّ .

– انها قضية سن . لو لم اكن اكثر منك اتزانـــا لاثرت

بمجرى حياتي .

وعادت الى الضحك . فشعرت بالامتعاض وقلت :

ـ لن يكون هذا سيئا .

ـ بل سيكون كارثة .

وبغتة غيّرت لهجتها وحدقت بي ثم قالت :

ـ أتدرين كيف ينتهي الناس الذين يشبهون ويب عادة ؟

واكملت بيني وبين نفسي :

ـ والذين يشبهون ابي .

بينما اضافت :

ـ سيصلون الى سن لا يعود لديهم فيها اي جاذب ، ويصيبهم العجز فلا يستطيعون تناول الخمر ولكنهم يتابعون اشتهاء النساء. وعند ذاك يجدون انفسهم مجبرين على دفع الاموال لهن والقبول بتسويات عديدة ليتجنبوا وحدتهم . وسيشعرون بالتعاسة . ولا يختارون الا هذا الوقت ليصبحوا عاطفيين وكثيري المطالب . لقد رأيت كثيرين يتحولون الى هذا النوع من الحطام .

قلت :

ـ مسكين ويب !

هذه هي النهاية التي تهدد ابي . او ، بالاقل ، التي كانت تهدده لولا ان آن تكفلت به .

واستأنفت آن حديثها :

ـ انك لم تفكري بهذا . انك تفكرين قليـــلًا بالمستقبل أليس كذلك ؟ هذه مزية الشباب .

– ارجوك لا تذكريني بشبابي ، انني لا اتمتع به الا قليلاً ولا اعتقد بأنه يعطيني الحق بجميع المزايا ، او الاعـذار . انني لا اهتم به .

– بماذا تهتمين ؟ بطمأنينتك ؟ باستقلالك ؟

كنت أخشى هذا النوع من الاحاديث ، خاصة مع آن .

وقلت :

– انني لا اهتم بشيء . ثم انك تعرفين اني لا أفكر ابداً .

– انكما تثيرانني انت وابوك : « انكما لا تفكـران بشيء ابداً ... انكما لا تُصلحان لشيء ... انكما لا تعرفان ...! » هل انتما معجبان بحالتكما هذه ؟

– لست معجبة بحالتي . انني لا احب نفسي ولا احاول ان احبها . وتمر بي لحظات تدفعينني فيها الى ارباك حياتي فاكاداحنق عليك .

وصمتت لحظة وقدبدا عليها التفكير ، ثم قالت :

– ابقي في سريرك واستريحي . ساتابع ، في مـــكان آخر ، تحقيقي عن الناحية العقلية في العائلة .

طبعا ، فالامر سهل بما يتعلق بأبي . وتراءى لي وهو يجيبها : « انني لا افكر بشيء ، لانني احبك يا آن » .

ومهما كانت ذكية فان هذه الحجة ستقنعها .

تمطيت طويلاً ثم استرخيت على وسادتي . وفكرت كثيراً ، رغم ما قلته لآن . لا شك بانها تبالغ . بعـد خمس وعشرين سنة يبلغ ابي الستين ويبيض شعره ويصبح متعلقاً بالوسكي وبذكرياته

الملوّنة . وسنخرج معاً ، فأحدثه بمغامراتي ويسدي اليّ النصح .
وانتبهت الى اني لم احسب حساب آن في هذا المستقبل ولم استطع اشراكها فيه. واستحال عليّ ان اتصور منزلنا الذي تسوده الفوضى والضجـــة ، وقد احلّت آن فيه النظام والسكون والانسجام ...

الفصل التاسع

انني اتحدث كثيراً عني وعن آن وقليلاً عن ابي . ولا يعني هذا ان دوره لم يكن اكثر الادوار اهمية او انني لا اهتم به. فلم احب يوماً احداً كما احببته . وفي خضم العواطف التي اثارتني في ذلك العهد ، كانت العاطفة التي اكنها له اكثرها استقراراً وعمقاً والتصاقا بي . ومع ذلك عليّ ان اتحدث عنه اكثر من غيره حتى اجعل سلوكه مقبولاً . انه لم يكن مغروراً او انانيا ، ولكن خفته بلغت حداً لم يعد ينفع فيه دواء . ورغم هذا لم يكن يقدّم ملذاته عليّ . وكثيراً ما تخلّى عن « فرص بديعة » كما يسميها ويب ، لكي يرافقني بعد السهرة الى المنزل .

كان اشتهاؤه إلسا يضايقه ولكن ليس كما قد يظن البعض . لم يكن يقول لنفسه :

« سوف اخون آن ، وهذا يدل على انني احبها اقلّ مما كنت اعتقد . »

بل كان يقول :

« ان اشتهائي إلسا مزعج . ويجب ان انتهي منه بسرعه والا حدثت لي متاعب مع آن » .

ثم انه يحب آن ويعجب بها ، فهي تذيقه لوناً من النساء يختلف عن المستهترات الحمقاوات اللواتي اعتاد عشرتهن في السنين الاخيرة .

لم افكر به عندما رسمت خطة اخراج آن من حياتنا . فقد كنت اعرف انه سيسلوها كما يسلو كل شيء . الا انه كان في ذلك الحين يتألم او يشعر بالحنق ، فقد اصبحت إلسا بالنسبة اليه ، رمز حياته الماضية وشبابه ، وادركت انه يشعر برغبة ملحة في ان يقول لآن :

« يا حبيبتي ، اسمحي لي بنهار واحد ، يجب ان اذهب للتأكد قرب هـذه الفتاة ، من اني لست عاجزاً ، يجب ان اطمئن . »

ولكنه لم يكن يستطيع ان يطلب منها هذا ، ليس لأنها غيورة او متمسكة بالفضيلة ، بل لانها قبلت ، ولا شك ، العيش معه على الاسس التالية : ان عهـد التهتك قد انتهى وانه لم يعـد تلميذاً بل رجلاً تعهد اليه بحياتها ولهذا عليه ان يحسن التصرف ولا يستسلم لنزواته .

ولا يستطيع احد ان يلوم آن على موقفها ولكن هـذا لم يكن يمنع ابي من اشتهاء إلسا . من اشتهائها شيئاً فشيئاً ، اكثر من اي شيء ، وبتلك الشهوة التي تثيرها الثمرة المحرمة .

ولا شك بأني كنت استطيع حينذاك تدبير كل شيء . كان يكفي ان اوصي إلسا بالاستسلام اليه بينما اختلق سبباً لاصطحاب آن الى نيس او غيرها لقضاء بعد الظهر . وعند عودتنا نجد والدي هادىء الاعصاب ومتعلقا كل التعلق بالحب الشرعي ، او الذي سيصبح شرعيا عند عودتنا الى باريس .

ولكني لم اوص إلسا بالاستسلام اليه ولا طلبت من آن مرافقتي الى نيس . كنت اريد ان تتأصل هذه الرغبة في نفس ابي وتدفعه لارتكاب خطأ . فما كان باستطاعتي تحمل ازدراء آن لحياتنا الماضية التي كانت رمز السعادة بالنسبة لي ولأبي . لم ارغب في اذلالها بل في جعلها تقبل نظرتنا للحياة . يجب ان تعرف ان ابي خانها وان تعتبر خيانته أمراً عابراً لا اساءة لكرامتها .

واخذت اتظاهر بتجاهل حالة ابي ، حتى لا يسر اليّ بها ويجعلني شريكته ويدفعني للتحدث الى السا وابعاد آن .

ومرت الايام سعيدة . وأخذت اضاعف الفرص لأثارة رغبة ابي بألسا . ولم يعد وجه آن يوحي اليّ بالندم .

انني أمر مروراً سريعاً بهذه المرحلة لاني اخشى ، اذا امعنت في البحث ، ان اثير ذكريات تثقل عليّ . ومع ذلك ، يكفي الآن ان افكر بضحكة آن السعيدة ولطفها حيالي حتى اشعر بشيء يضغط على قلبي ويثيرني على نفسي . واجد نفسي قريبة جدا مما يسمى بالضمير المتعب فالجأ الى اشعال لفافة وادير اسطوانة واتصل هاتفياً بصديق ...

الفصل العاشر

من المضحك كيف ان القدر يختار وجوها غير جديرة لتنفيذ احكامه . وقد اختار هذا الصيف وجه إلسا . وهو وجه جميل وجذاب . وكانت لدى إلسا ، ضحكة غريبة مثيرة لا يملكها الا الذين يتمتعون بقسط من الغباوة .

وقد ادركت تأثير هذه الضحكة بأبي فجعلتها تستغلها الى اقصى حد عندما كنا « نفاجئها » مع سيريل . وكنت اقول لها :

— عندما تشعرين بوصولي مع ابي ، لا تقولي شيئا بل اضحكي .

وفعلاً كان الغضب يظهر بوضوح على وجه ابي عندما يسمع هذه الضحكة . ولم انج من نتائج عملي فقد كنت اتألم كل الالم وانا ارى سيريل يميل على إلسا .

وفي صباح احد الايام جاءتني الخادمة بكلمة من إلسا هذا نصها : « تم تدبير كل شيء ، احضري !. »

وشعرت بالانقباض فقد كنت اكره النهايات .

ذهبت الى الشاطىء فاذا بي اجـــد إلسا تـكاد تقفز سروراً لانتصارها . وهتفت حالما رأتني :

-- لقد قابلت اباك منذ ساعة !

-- ماذا قال لك ؟

-- قال انه يأسف كل الاسف لما حدث وانه تصرف بنذالة . وهذا صحيح ، أليس كذلك ؟

ورأيت من واجبي ان اوافق فاحنيت رأسي ، بيما اضافت :

-- ثم اخذ يمتدحني بطريقته البارعة .

-- وبعد ذلك ؟

-- بعد ذلك دعاني لتناول الشاي معه في القرية لـكي اثبت له اني لست حقودة واني واسعة التفكير .

واضحكتني تعابير ابي فسألتني إلسا :

-- لماذا تضحكين ؟ هل عليّ ان اقابله ؟

وكدت اجيبها ان هذا لا يعنيني ، ثم ادركت انها تعتبرني مسؤولة عن نجاح مناوراتها . وقد يكون هذا صحيحا او خاطئا ، ولكنه اثارني . واجبتها :

-- لا اعرف يا إلسا ، فهـذا متعلق بك . لا تسأليني دائما عما يجب عليك ان تفعلي كأنني انا التي ادفعك الى . . .

-- ولكن هذا صحيح ، فبفضلك . . .

وافزعتني نبرة الاعجاب في صوتها فقاطعتها :

-- قابليه اذا شئت ولكن لا تحدثيني بهذا الامر بعد الآن .

-- ولكن . . . يجب ان ننقذه من هذه المرأة . . . سيسيل !

ولم انتظر لسماع باقي حديثها بل هربت . ليفعل ابي ما يشاء .

ولتدبر آن امرها ! وبعد فقد كان لدي موعد مع سيريل . وبدا لي ان الحب وحده يخلصني من هذا الخوف الذي اعتراني .

وضمني سيريل بين ذراعيه ، دون ان يفوه بكلمة ، وقادني . ان كل شيء يصبح ، بجانبه ، سهلاً وحافلاً بالعنف واللذة . وبعد قليل ، قلت له ، وانا متمددة باعياء على صدره ، اني اكره نفسي . وظنني مازحة فاجاب :

ـ لا اهمية لذلك . اني احبك كفاية لكي اجبرك على تبني رأيي . انني احبك ، احبك كثيراً ..

ولازمني ايقاع هذه الجملة طول الغداء ، ولهذا لا اذكر تماماً جميع تفاصيله . كانت آن ترتدي ثوباً داكنا بينما اخذ ابي يضحك بارتياح . واعلن ، ونحن نتناول الحلوى ، ان لديه عملاً في القرية بعد الظهر . وابتسمت في داخلي ، كنت تعيسة ولا ارغب سوى بشيء واحد : ان استحم .

نزلت ، في الساعة الرابعة ، الى الشاطىء ، فوجدت ابي يستعد للذهاب الى القرية . لم اقل له شيئاً وحتى لم أوصه بالحذر .

كان الماء منعشاً ، ولم تأت آن . لا شك بانها كانت مشغولة بالرسم في غرفتها ، بينما يغازل ابي إلسا .

صعدت ، بعد ساعتين ، الى السطح ، وجلست على مقعد واخذت جريدة .

وهنا بدت آن آتية من الغابة . كانت تركض بكل قوتها . وانتابني شعور مفاجىء مخجل بان التي تركض عجوز توشك ان تقع . وجمدت مكاني مذهولة ، بينما اختفت آن وراء المنزل في

جهة المرأب . وعند ذاك فهمت ، واخذت اركض بدوري لألحق بها .

وعندما وصلت كانت قد صعدت الى السيارة واخذت تدير المحرك ، فالقيت بنفسي على باب السيارة وانا اصيح :

ـ آن ، آن ، لا ترحلي ، هناك خطأ ، ان الذنب ذنبي .. سأشرح لك ..

لم تكن تصغي او تنظر الي ، بل تحاول ارخاء الفرامل ، وتابعت كلامي :

ـ آن ، اننا بحاجة اليك !

هنا رفعت رأسها : كانت تبكي . وادركت بغتة اني حملت على مخلوق حي حساس وليس على وحدة كاملة . لا شك بانها كانت فتاة صغيرة ثم شابة ، واخيراً اصبحت امرأة . كانت في الاربعين ، وحيدة ، وقد احبت رجلاً واملت بان تسعد معه عشر سنين او عشرين .

وانا ...

هذا الوجه ، هذا الوجه ، كان من صنعي . وانتابني الفزع واخذت ارتجف بكاملي وانا مستندة الى الباب .

وهمست آن :

ـ لست بحاجة لأحد ، انت ولا هو .

ودار المحرك . وشعرت باليأس . لا ، لا يمكنها ان تذهب هكذا . قلت :

ـ اغفري لي ، ارجوك ان تغفري لي ..

ـ اغفر لك ماذا ؟

كانت الدموع تسيل باستمرار على وجهها ، ولم يبد عليها انها تحس بها . وقالت :

ـ يا صغيرتي المسكينة !

ووضعت يدها لحظة على خـــدي ثم ... رحلت . ورأيت السيارة تختفي عند زاوية المنزل فشعرت باني تائهة ... لقد حدث كل شيء بسرعة ! وهذا الوجه ، هذا الوجه ..

وسمعت وقع خطى خلفي : انه ابي . لقد تأخر لازالة احمر شفاه إلسا واشواك الصنوبر . التفت والقيت بنفسي عليـــه وانا اصيح :

ـ سافل ! سافل !

واخذت انتحب بينما سألني بقلق :

ـ ولكن ماذا هنالك ؟ هـل آن ؟ .. سيسيل ، اخبريني ، سيسيل ..

الفصل الحادي عشر

لم نلتق إلا عند العشاء وقد اقلقتنا هذه العودة المفاجئـــة لانفرادنا . لم اشعر بالجوع ولا هو. كنا ، كلانا ، نعرف ان من الضروري ان تعود آن الينا . فلم اكن ، من جهتي ، استطيــع تحمل ذكرى وجهها المكفهر ،عند رحيلها، وحزنها وتبعاتي . لقد نسيت المناورات والخطط التي اعددتها بعنـــاية . وشعرت باني ضائعة . وكنت أرى ذات الاحساسات على وجه ابي .

وقال :

ـ اتعتقدين بانها هجرتنا لمدة طويلة ؟

ـ لا شك بأنها ذهبت الى باريس .

وهمس ابي بصوت حالم :

ـ باريس ...

ـ قد لا نراها بعد الآن ...

ونظر اليّ بحزن وامسك بيدي وقال :

ـ لا شك بانك تكرهينني . لا اعرف ما الذي اصابني . فيما كنت عائداً مع السا عبر الغابة ... قبلتها . وقد وصلت آن في تلك اللحظة . و ...

لم اعد اصغي اليه . كان الشيء الوحيد الذي يشغل فكري هو وجه آن المغدور والموسوم بالألم . واخذت لفافة من علبة ابي واشعلتها . وهذا ايضاً امر لا تسمح به آن : ان يدخن المرء في وسط الطعام .

ابتسمت لابي وقلت :

ـ انني افهم جيدا : ليس الذنب ذنبك . كانت لحظة جنونية كما يقولون . ولكن يجب ان تسامحنا آن ، اقصد ان تسامحك .

ـ وماذا نفعل ؟

شعرت بالشفقة عليه وعـــلى نفسي . لماذا تهجرنا آن هكذا وتجعلنا نتألم لاجل عمل تافه ؟ أليست عليها واجبات نحونا ؟

وقلت :

ـ سنكتب اليها ونطلب منها ان تسامحنا .

وهتف ابي :

ـ هذه فكرة بديعة .

ازحت الصحون والغطاء عن المائدة ، دون ان نأكل ، واحضر ابي مصباحا قويا وقلمين وورق رسائل وجلسنا متقابلين وشبه مبتسمين ، اذ بدا لنا ان هذه الوسيلة ستعيد آن الينا .

لا استطيع ان اذكر ، بدون شعور بالسخرية والقسوة ، الرسالتين الحافلتين بالعواطف الرقيقة اللتين كتبناهما لآن ذلك

المساء . كنا نشبه تلميذين يعملان في هذا الفرض المستحيل « استعادة آن » . وعندما انهينا الرسالتين كنت شبه مقتنعة بأن آن لن تستطيع مقاومتها وان المصالحة قريبة . وتخيلت مشهد الغفران حافلاً بالمرح .. سيجري هذا في منزلنا في باريس . وستدخل آن و ..

ورن جرس الهاتف ، وكانت الساعة العاشرة . وتبادلنا نظرة امل : انها آن . انها تتصل بنا لتبلغنا انها تسامحنا وانها عائدة . وقفز ابي الى الجهاز وصاح بجذل :

ـ آلو ..

ثم لم يقل سوى « نعم ، نعم ! أين ؟ نعم » . وكان يتكلم بصوت ضعيف .

نهضت بدوري وقد ملأ الخوف نفسي . ونظرت الى ابي وإلى يده التي اخذ يمر بها على وجهه بحركة آلية . واخيراً وضع السماعة مكانها والتفت اليّ وقال :

ـ لقد وقع لها حادث على طريق « الاستيريل » . وقد اضاعوا وقتاً حتى وجدوا عنوانها فاتصلوا بباريس وهناك اعطوهم رقمنا هنا ..

كان يتكلم بصوت اجوف ولم اجرؤ على مقاطعته :

ـ لقد وقع الحادث في اخطر مكان . ويبدو ان حوادث عديدة وقعت هناك . وقد سقطت السيارة من ارتفاع خمسين متراً ولو نجت لكان هذا معجزة ..

اني اذكر الجزء الباقي من تلك الليلة كما اذكر حلما مفزعا .

الطريق التي تقفز الينا تحت انوار السيارة ووجه ابي الجامد وباب العيادة .. ولم يدعني ابي اراها . وقد اخبرتني احدى الممرضات بأن هذا هو الحادث السادس في ذات المكان منذ بداية الصيف .

وهنا فكرت بأن آن تسمو علينا حتى بموتها . ولو اقدمنا نحن على الانتحار ، اذا افترضنا اننا نملك انا وأبي الشجاعة الكافية لذلك ، فاننا كنا سننتحر برصاصة في الرأس تاركين كلمة تهدف لاقلاق ضمير المسؤولين الى الابد . ولكن آن خلفت لنا هذه الهدية الضخمة وهي انها تركت لنا فرصة لنعتقد بأن الحادث عفوي : مكان خطر واضطراب سيارتها .

وبعد ، اذا كنت اتكلم اليوم عن انتحار فهذا اغراق مني في الخيال . اذ هل يعقل ان ينتحر احد لاجل مخلوقين ، مثلي ومثل ابي ، ليسا بحاجة لاي شخص ، حي او ميت ؟

عدنا الى المنزل ،في الساعة الثالثة من بعد ظهر الغد فوجدنا إلسا وسيريل بانتظارنا وقد جلسا على درجات السلم . وانتصبا واقفين امامنا كشخصين منسيين : لم يعرف احد منهما آن او يحبها . وتقدم سيريل مني ووضع يده على ذراعي . ونظرت اليه : انني لم احبه يوما من الايام . لقد وجدته طيبا وجذابا ، واحببت اللذة التي يمنحني اياها ، ولكنني لم اكن بحاجة اليه . سوف ارحل واغادر هذا المنزل وهذا الفتى وهذا الصيف . كان ابي بجانبي ، فامسك بذراعي ودخلنا المنزل .

وفي المنزل كانت سترة آن وزهورها وغرفتها وعطرها . واغلق ابي النوافذ واخرج زجاجة خمر من البراد واحضر كأسين . كان

هذا الدواء الوحيد الذي في متناولنا. ولمحت رسالتي الاعتذارعلى المائدة فدفعتها بيدي واوقعتها على الارض . وكان ابي يتقـدم نحوي بالكأس فتردد ثم تجنب السيرِ على اوراقها .

اخذت الكأس وافرغتها بحلقي دفعة واحدة .

الفصل الثاني عشر

في باريس ، جرت مراسم الدفن ، تحت سماء صافية وامام جمهور فضولي . وصافحنـــا ، انا وابي ، قريبات آن ، ونظرت اليهن بفضول . لا شك بانهن كنّ سيأتين لتناول الشاي في منزلنا مرة في السنة .

وكان الناس ينظرون الى ابي باشفاق ، اذ ان ويب اذاع نبأ الزواج . ولمحت سيريل يبحث عني بين الجمهور فتجنبته . كان شعور الحقد الذي اضمره له ظالماً ولكنني لم استطع التخلص منه.

وفي اثناء العودة في السيارة ، امسك ابي بيدي وضغط عليها. وفكرت :

« لم يعد لديك احد غيري ، ولم يعد لدي احد غيرك . اننا وحيدان وتعيسان» .

وبكيت ، وكانت هذه اول مرة ابكي فيها بعد الحادث . ومدّ ابي منديله اليّ دون ان يقول كلمة .

قضينا شهراً كالأرمل واليتيمة نتناول الطعام معاً ولا نخرج ابداً . وكنا نتكلم احياناً عن آن ، ولكن بحذر ، خوفاً من ان يؤلم احدنا الآخر او اذ نصل بالحديث الى كلمات جارحة . وقد نال هـــذا الحذر مكافأته اذ استطعنا ، بعد مدة ، ان نتكلم عن آن بلهجة عادية كما يتحدث المرء عن شخص عزيز استدعاه الله اليه. انني اكتب الله بدلاً من الصدفة، ولكننا لم نكن نؤمن بالله.

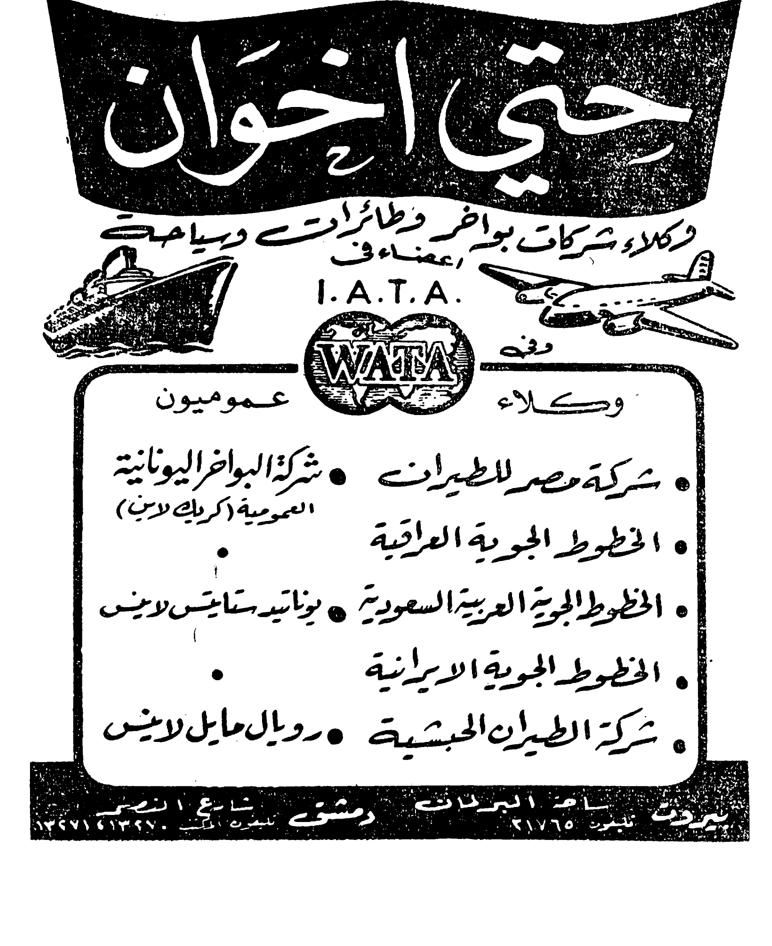
ثم قابلت ، في احد الايام عند صديقة لي ، احـــد ابناء عمها فاعجبت به واعجب بي . واكثرت من الخروج برفقتـــه . ولما كان ابي لا يتحمل الوحدة، فقد اخذ يرافق امرأة شابة وطموحة.

وعادت حياتنا كالماضي ، كما كان متوقعا . وعندما نلتقي انا وأبي نضحك سوية ونتحدث عن غزواتنا الغرامية . لا شك بانـه يشعر بأن علاقتي بفيليب ليست عذرية ، كما اني اعرف انعشيقته الجديدة تكلفه غاليا . ولكننا سعيدان .

ان الشتاء يقترب من نهايته . ولن نستأجر ذات الدارة بـل دارة اخرى قرب « جوان لي بان » .

الا اني ، عندما اكون في سريري ، عند الفجر ، لا يؤنسني سوى هدير السيارات في باريس ، اشعر بذاكرتي تخونني فيعود الصيف وجميع ذكرياته . آن ، آن ! واردد هذا الاسم طويـلاً بصوت خافت في الظلام ، بينما يتصاعد في نفسي احساس استقبله بإسمه ، مغمضة العينين : مرحباً ايها الحزن .


https://telegram.me/maktabatbaghdad


حتي اخوان
وكلاء شركات بواخر وطائرات وسياحة
اعضاء في
I.A.T.A.
وفي
WATA
وكلاء عموميون
• شركة مصر للطيران
• الخطوط الجوية العراقية
• الخطوط الجوية العربية السعودية
• الخطوط الجوية الايرانية
• شركة الطيران الحبشية
• شركة البواخر اليونانية العمومية (كريك لاين)
• يونايتد ستايتس لاينز
• رويال مايل لاينز
بيروت ساحة البرلمان تلفون ٢١٧٦٥
دمشق شارع النصر تلفون المكتب ١٣٢٧٠ ، ١٣٢٧١


https://telegram.me/maktabatbaghdad